

نسيم نصر

مفهوم التربية الحديث وهويتنا منه

بقلم نسيم نصر

***

من نظر في تطور التعليم الثانوي ، منذ اقدم عصوره حتى اليوم ، رأى ان هذا التعليم ، منذ نشأته ، تناول ترفيع الذات الانسانية وتغذيتها بالمعارف والعلوم . وقد سبق الاغريق الرومان ، فحددوا غاية المدرسة الثانوية في نطاق اعداد المواطن للحرية الجماعية . ولكن ذلك الاهتمام الاعدادي لم يكن عميم الفائدة ، لان المجتمع المدرسي ، في القرون القديمة ، بوصفه ، آنئذ مقتصرا على ابناء الطبقة الارستقراطية ، بقي ينظر الى المهن والاعمال اليدوية ، والى كل ما له بها صلة وثيقة، نظرة ازدراء ومباعدة .

وفي القرون الوسطى اعاد قادة الفكر النظر في متناول المدرسة الثانوية ، فجعلوها مرتكزا للتعليم العالي ، فاصبحت غايتها الرئيسية اعداد طلابها للدراسة العالية . وللانتساب الى معاهد المهن الحرة . غير ان هذا التطور لم يكن نفعه عميما ايضا ، لان الطبقية بقيت مهيمنة عليه ، فحصرت فائدته في قلة من ابناء الامة المعنية في كل بلد .

وتعاقبت الاجيال ، والتعليم الثانوي مجال اخذ ورد في ماهيته وغاياته ، ولكنه استمر نظري المناهج لا يستطيع ان يؤالف ، على محوره او حوله ، النواشيء المتباينة الكفايات والمواهب والاوضاع .

وما زالت عوامل التطور وآثاره تمتد الى التعليم الثانوي ، فتحدث هنا ، وتحذف هناك ، وتعدل هنالك، الى ان صهرت الحرب العالمية الاولى اقاصي الارض وأدانيها بنارها الفكرية الى جانب نيرانها الحربية ، فكان لنا تطور جديد ، عميق الاثر بعيد المرمى ، تناول التعليم الثانوي ليجعل منه وسيلة الى غاية هي الديمقراطية الاجتماعية الكافلة بناء الاوطان بناء حديثا لا اثر للطبقية فيه ، ولا مكان للاستغلال الفردي على حساب الجماعة.

وتأثرا بهذا التطور المنفتح على العدالة الاجتماعية، في تكافؤ الفرص التحصيلية لكل ابناء الوطن الواحد ، اخذت مناهج التعليم تخضع لمقتضيات العصر ، هذه المقتضيات التي ، بدورها ، خرجت بالتعليم الثانوي عن اكتفائه بفروع معينة ، ثابتة ، يتعلمها كل الطلاب على السواء .

وفوق ذلك كان لا بد من ادراك حقيقة استجدت النظرة اليها وهي ان الكم المعرفي ــ العلمي ، لا بد من تدعيمه بكم تربوي ، لينمو الانسان الناشيء ذا شخصية مركزة البناء متماسكة عناصر الذات .

وهكذا اصبح منهج التعليم الثانوي يشتمل على ثقافة عامة تتساند موادها لتتجه بالمدرسة الثانوية الى توفير تربية محررة وتنمية خلق مجتمعي ، اكثر مما تتجه الى الانضباط في مقادير من المعارف والعلوم ثابتة لا تتبدل ولا تتعدل . وهذه التربية المحررة ، وهذا الخلق المجتمعي يدعوان الى اعتماد عدالة تربوية لا تقل سعة في تبعاتها ، عن العدالة الاجتماعية في سائر متناولاتها .

من هنا بدأت الحاجة تبدو ماسة الى العدول عن الفكرة الاكاديمية ، في التعليم ، تلك الفكرة القائلة بان العلم للنخبة ، بعيدا عن العامة والتعميم . وعلى اساس الاخذ بتلك الحاجة شرعت الامم المتقدمة تتسابق الى تعميم المعرفة والتربية الوطنية وجعلهما ضرورة كالغذاء والكساء والمسكن . وعندما تذكر هذه الآفات المجتمعية الكبرى الثلاث تعدد هكذا :

الجهل ، والفقر والمرض ، على اعتبار ان الجهل يجر الانسان الى الفقر والمرض ، اما الفقر او المرض او كلاهما معا فلا يجران الى الجهل .

اذن لخلق مجتمع حديث لا بد من القضاء على الجهل قبل كل آفة أخرى . ولا بد أيضا من اليقين بان المدرسة نواة المجتمع في واقعه ، وفي تطوره المنتظر ، وانها القوة المحركة عجلة التاريخ في مدارج الحضارات قديمها وجديدها .

ولما كنا نحن ، في هذا الشرق العربي ، مدينين في تفكيرنا ، وفي مجاري حياتنا ، وفلسفتنا ، وتصريف شؤوننا ، لموروث ضخم من الاتجاهات العملية والنزعات القومية ، ان لم نقل القبلية احيانا ، كان علينا ان نعالج

هذا التراث المختلط العناصر بكثير من الحيطة ، لا بل الحذر ، كي لا نفسد حين نريد ان نصلح ، وكي لا نهدم حيث نود ان نبني .

وهنا لا مناص من لفت النظر الى اننا لا ندعو الى نبذ هذا التراث ، وفيه نصيبنا من التاريخ ، ولا الى قطع الصلة به ، وفيه جذورنا ، وانما ندعو الى ألا نجعله ملهاة افتخار ، فننام على اكاليل الغار ، بينما نحن في عصر السرعة الباغتة ، والاعداد الالكتروني ، وغزو الكواكب .

وبعد ، فكيف تكون مدرستنا الحديثة التي فيها يتم اعداد المواطن الصالح ؟

الصفات المحلية التي يجب ان تتوفر لمدرستنا الحديثة مفقود اكثرها ، حتى اليوم ، وفقدانه ناتج عن الاستيراد بكثرة والاعتماد على المحلي بقلة . والمعني بالاستيراد ، في هذا المكان من الكلام ، هو قيام مدارسنا، في الغالب ، على مبادىء تربية ومناهج تعليم وضعت في غير بلادنا ، وقد راعى فيها واضعوها ما يلائم ناشئتهم في بلادهم اولا . وعلى هذا الاساس انتهى المعنيون بشؤون التربية والتعليم الى القول بوجود استعمار ثقافي . وعلى هذا الاساس ما تزال « حروب التربية » ان صح التعبير ، قائمة بين الدول المجلية في هذا الميدان ، ولكنها حروب على ارض الغير ، وفي رؤوس الغير .

وقد رأينا اكثر من مرة غبار هذه الحروب ودخانها يملآن اجواء البلاد ويزكمان الانوف ، ولبنان من هذه البلاد ... !!!

وابرز بلدين لهما على ارضنا صراع ثقافي ، ملحوظ الاثر ، دائم الحركة ، هما فرنسا والولايات المتحدة الاميركية . وهذا الصراع نوجز وصفه كما يلي :

يصر علم التربية الفرنسية على ترويض الطالب ، وحمله بالاجتهاد والانضباط الذاتي على الالتزام بقيم حضارية معينة ، مستندا الى نظام المسابقة الخطية الواحدة .

وتعنى التربية الاميركية في ان تتمكن من ضبط سلوك الطالب باتباع قانون النمو الطبيعي ، مستندة الى توسل الارشاد النفسي الذي يقيم الانسجام بين مقومات الشخصية ومتطلبات التربية ، عملا بسنة التطور وأحكام البيئة ، واخذا باسباب التقدم الحضاري .

ولما كانت أهم المفاهيم في التقويم التربوي الاميركي تعتمد المعطيات الاحصائية ، في مراحل النمو الطبيعي ، فلا تفرض قياسا تعينه مسبقا ، « خمسين بالمئة » ، ولما كانت معطياتنا الاحصائية ، في مراحل النمو الطبيعي لم يتوفر لها ، حتى اليوم ، تجانس بين البيئات البيتية والمدرسية ، ولا انسجام في اساليبها ، كان لا بد للسلطة القائمة في بعض البلاد النامية من الاخذ بهذا القياس المسبق كقاسم مشترك تستبدله او تعد له وفاقا لمقتضيات التطور التربوي العام .

ولبنان ، بالنسبة الى كثير من البلدان المتطورة ، يحسب ذا مناهج تربوية مرضية ، من حيث الكم والنوع، ولكنه في وسط هذه التطورات الجذرية الدولية المحيطة به والفاعلة في مناهجه ، على كل صعيد ، ما يزال ينتظر شيئا من مؤالفة الآراء ، في تحديد المثقف الناجح ، القادر على تطوير المنهج التربوي ، مستقلا عن الاستعمار الثقافي ، بحيث يصبح اكثر تعبيرا عن التربية الوطنية . وبالتالي يأخذ التقويم التربوي طريقه الى الاخذ بمقياس المشاركة بين المفاهيم العامة في التربية والتعليم ، وبين المفاهيم الخاصة النابعة من حاجة كل بلاد الى ملاءمات محلية لا بد منها .

وعندئذ تصبح وظيفة التقويم التربوي ان تفتح عيون المربين على آفاق جديدة ، وان تعينهم في تعيين اهدافهم على ضوء التجربة والواقع .

وهكذا يتضح ان التقويم التربوي ، في حقيقة امره، ليس دراسة سلوك الانسان وتحصيله ، وانما هو دراسة الانسان نفسه . وهذه الدراسة الانسانية يجب ان تكون من وضوح الرؤية بحيث يبدو معلم المدرسة الحديثة وسيطا مرشدا ، يعين على التحصيل المعرفي بأمانة وصبر . ولا يجوز ، في اي حال ، ان يقلد معلم اليوم معلم الامس ، فيعتبر ان على تلميذه ان يقلد سيره ويترسم خطاه في طريق المعرفة والانسان والحياة .

والمعلم المؤهل للقيام بمهام المعلم الحديث ، اي المربي ، هو من أحرز الى جانب اختصاصه ، ثقافة عامة، وقوى شخصيته بضمير مهني يهيب به دائما الى الشعور بالتبعات التي فرضتها عليه امانة المهنة ، التي ترتفع الى مداناة الرسالة عند من ندبوا نفوسهم لها ، فكانوا اسخياء ، امناء . هذا المعلم يضع نصب عينيه ان تكون التربية صحيحة الديمقراطية . وافضل ما يعتمده ، لضمان هذه السلامة التربوية ، ان يوفق ، في نفوس طلابه ، ما بين الحرية الفردية والتضامن الاجتماعي . فالحرية الفردية هي التي تحبب الى الطالب الاستقلال والتجديد لينشأ حرا من عبوديات الفكر والاجتماع والسياسة ، مجندا مواهبه لخدمة الحياة الكريمة الحرة ، ويحفزه الى الدفاع عن كيان بلاده السياسي .

اذن ، بين الحرية الفردية والتضامن الاجتماعي تقع نقطة الدائرة من حقل التربية والتعليم ، وحول هذه النقطة المركزية تتم المؤالفة بين الضمير الخلقي والضمير المهني . واذا كان الضمير الخلقي ، كما عرف ، صوت الله في قلب الانسان ، او محكمته الشخصية ، فالضمير المهني يد الله تشد يد الانسان في طريق الشعور بالمسؤولية ، على ضوء ادراك تبعة المهنة ، والمحافظة على شرفها ، والقيام بها على خير وجه .

بقي ان نمر بالوجهين المتعارضين ، في التطورات

عملاق

●

كان عملاقا كبيرا ففدا
تحت شبر من تراب الارض شبرا

هو من قوم اذا ما نظروا
ضخموا الاشياء مقدارا وقدرا

فأقاموا من حصاة جبلا
وأماجوا من سراب القفر بحرا

ومن القطرة أجروا واديا
وعليه عبروا القشة جسرا

ضرب الوهم على أبصارهم
وعليهم خيم العصفور نسرا

قهقه التاريخ من أوهامهم
وطواها عنهم سترا فسترا

فاذا العملاق لا شيء سوى
ضحكة أطلقها التاريخ سخرا

واذا ما كدسوه حوله
لم يزن الا نفايات وقشرا

سألوا التاريخ فيها رحمة
عله ينسخها ماسا ودرا

ضحك التاريخ منهم وعلى
صفحتيه خط ما قد خط فاقرا

كاسيا ان تدخل القبر فلن
تدخل التاريخ الا حين تعرى

لا يرعكم أن تروا نابهكم
مات لما مات عن دنياه ذكرا

لم يكن روحا وفكرا انه
كان أبواقا وأوراقا وحبرا

فارس سعد

التربوية ، وهما : الانتساب الديني ، والعلمنة . فبعد ان استمرت الصفة الدينية ملازمة اكثر المدارس ، في مختلف العصور ، جاءت تحتل مكانها صفة العلمنة ، اي الغاء الصفة الدينية عن المدارس . وكان الراي الغالب ، بصورة عامة ، في استبعاد التدريس الديني ، ونزع النعوت الطائفية عن المدارس ، هو الحفاظ على انسجام الطلاب المتنسبين الى اديان وطوائف مختلفة ، والحرص عليهم من ان يفرق بينهم هذا الاختلاف .

ولكننا ، في هذا الشرق العربي ، ولبنان من اشد بلاده تحسسا لهذا التعارض ، نستطيع القول ، عن تجربة واختبار ، ان العلمنة اشد خطرا على التربية من استبقاء الصفة الدينية ملازمة لها ، وذلك لان للقيم الروحية ، في هذا الشرق ، جذورا عميقة في تراثه الاجتماعي ، فلا يجوز ان نعمل على استئصالها ، في هذه الموجة الالحادية العارمة ، التي امتدت الينا ، ترافقها ظاهرة مخيفة من الانحلال الخلقي . ولئن كان للطقوس الطائفية ، في الدين الواحد ، اسباب تنابذ واختلاف ، فليس في جوهر التوحيد في الاسلام والنصرانية ما يدعو الى اختلاف . وفيهما ، الى جانب الايمان المشترك بالاله الواحد ، والحياة الاخرى ، اعتصام بعدد كبير من الفضائل المربية ، والمثل العليا ، التي يحيون بعطائها الانساني الزاخر .

فمتى نعلن على ضوء هذا العطاء هويتنا (1) التربوية ؟

نسيم نصر

1 ـ الهوية بضم الهاء هي حقيقة الشيء او حقيقة الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية . والهوية بفتح الهاء هي البئر البعيدة القعر .



عامر محمد بحيري

في صحبة شكسبير

بقلم عامر محمد بحيري

***

تعريف

تشعب الحديث في « حصاد السنين » .. حتى كثرت موضوعاته .. ثم تجسمت هذه الموضوعات ، حتى ان بعضها لم يعد في الوسع ان اوضحه في مقال واحد .. ومن ذلك موضوع « شكسبير » .. الذي تحدثت عنه في المقال الثاني من الحصاد .. فذكرت اول صلتي به في المدرسة الثانوية ، وقلت انني لم اكد انته من هذه الدراسة ، حتى كنت قد بدأت التفكير في ترجمة ما قرأته من روائعه .. وانني شرعت بالفعل في تلك الترجمة ..

وفكرت بعد ذلك في ان اعود الى الموضوع نفسه ، في مقال او مقالين .. فاذا به موضوع خطير ، متصل الحديث ، لا يقف عند عظمة الشاعر نفسه ، ولا عند عالميته .. ولكنه – فيما يتصل بي – قد أخذ يرتبط بالعربية ، وبالعالم العربي .. وبالشعر العربي .. وان انشغالي به على مدى الحياة ، لفترة تمتد اليوم الى اكثر من اربعين عاما ، جعله في حياتي موضوعا قائما بذاته .. واحد « حصاد السنين » فيما يتصل به حصاد مستقل..

لهذا ، فكرت في ان افصل بين « حصاد السنين » .. وبين هذا الحديث « في صحبة شكسبير » ..

وأول ما اتحدث عنه في هذا المقال هو « التعريف بشكسبير » ..

والتعريف بشكسبير .. هو الترجمة العربية التي اخترتها ، لذلك الكتاب الذي صرف لنا ، في السنة الرابعة الثانوية .. وكان هو الصلة الاولى الحقيقية ، بيني وبين الشاعر الكبير ، والاستاذ العظيم .

وقد ناقشني الصديق العزيز ، المرحوم عادل الغضبان .. حين عرضت عليه بعض هذه الفصول ، لنشرها في سلسلة « اقرأ » .. منذ فترة قريبة .. وقال لي ان الترجمة الحقيقية لعنوان الكتاب هي .. « الاقتراب من شكسبير » .. وكان هو على حق في ذلك، فتلك هي الترجمة الدقيقة .. ولكن الترجمة بحر لا ساحل له ، وكان صديقي اعرف الناس بذلك ، واكثرهم أصالة في العربية ، والانجليزية على السواء .. ولهذا السبب نفسه ، فانه اقر ترجمتي ، وعرف انها اكثر « اقترابا » .. للعربية من كلمة « الاقتراب » !

وكتاب « التعريف بشكسبير » .. او « الاقتراب من شكسبير » .. كتاب صغير الحجم ، يشتمل على عدة فصول ، كما يشتمل على مختارات من مسرحيات الشاعر الكبير ، وليم شكسبير ..

اما الفصول .. فهي : مقدمة من فصلين للكاتبة اندرو لانج .. احدهما عن « وليم شكسبير » .. وحياته، منذ مولده في ٢٣ ابريل ١٥٦٤ حتى وفاته في ٢٣ ابريل ١٦١٦ .. عن اثنين وخمسين عاما ، وما تخلل هذه الفترة من احداث ، وكيف مضى الشاعر في اداء رسالته، التي تركت بعده في العالم صدى بعيدا ، واثرا لا يمحى.. والثاني عن « تشارلس وماري لام » .. وهما اخوان عاشا في اواخر القرن الثامن عشر ، واوائل التاسع عشر .. (تشارلس ١٧٧٥ – ١٨٣٤) .. وعاصرا من الادباء والشعراء في وقتهما كوليردج ، وسلوذي ، ولي هنت ، ووردزورث وغيرهم ،وكان تشارلس صديقاحميماللكوليردج .. حتىانه تأثر بوفاته،ولميعش بعده غير بضعةاسابيع.. على ان تشارلس لم يصل في شهرته الادبية ، الى منزلة اولئك المشهورين ، وان كان قد ترك للادب ، هو وشيقته ماري ، ذلك الكتاب المدرسي ، البديع « قصص من شكسبير » .. الذي اشتمل كتاب « التعريف » على فصول منه ..

فقد اشتمل الكتاب ، بعد هذه المقدمة .. على خمسة فصول مما كتبها تشارلس وماري لام .. تقدم لنا تعريفا جميلا ، بمسرحيات « حلم ليلة صيف » .. و « تاجر البندقية » .. و « على هواك » .. و « الليلة الثانية عشرة » .. و « العاصفة » ..

واشتمل الكتاب ايضا على فصل تاريخي من المؤرخ هولنشد ، عن حياة كل من رتشارد الثاني ، ورتشارد الثالث .. وهما اللذان اعتمد عليهما شكسبير في كتابة مسرحيتيه .. اما موضوع مسرحية « يوليوس قيصر »

.. فقد اشتمل الكتاب على فصل من بلوتارك ، الكاتب الاغريقي ، معتمدا فيه شكسبير على الترجمة الانجليزية لسير توماس نورث .. في صياغة هذه المسرحية الخالدة ..

وفي النهاية يشتمل الكتاب على فصل عن « مكبث » بقلم تشارلس لام وحده .. وآخر يروي هذه القصة ذاتها ، بقلم الشاعر والقصاص الكبير سير والتر سكوت.

واما المختارات من شكسبير فهي :

١ ـ من حلم ليلة صيف : منظر للجن في الغابة ـ منظر آخر للجن ـ مأدبة نك بوتوم .

٢ ـ من الملك جون : الامير آرثر وهيورت ـ موت آرثر ..

٣ ـ تاجر البندقية : لانسيلوت يستبدل سيدا بآخر ـ منظر المحاكمة ـ اختفاء جسيكا ..

٤ ـ رتشارد الثاني : موت جونت ـ موت رتشارد.

٥ ـ على هواك : تحت شجرة الغابة الخضراء ـ لقاء العاشقين .

٦ ـ يوليوس قيصر : موت قيصر ـ الخطباء .

٧ ـ الليلة الثانية عشرة : الابتسام للحزن ..

٨ ـ رتشارد الثالث : منظر المحاكمة ـ موت رتشارد ..

٩ ـ العاصفة : حمل الاحطاب ..

١٠ ـ مكبث : الجريمة الشنعاء ..

هذه صورة شاملة للكتاب ، الذي تعرفت عن طريقه بالشاعر الكبير ، واقتربت اليه ، منذ اللحظة الاولى ، اعظم ما يكون الاقتراب ..

ولكن هل معنى ذلك اني قرات كل هذه الفصول ، والمختارات .. في السنة الرابعة الثانوية ؟

كلا .. ولكن أثر القلم الرصاص ، على الكتاب الذي بقي معي كل سنوات العمر ، وما زال تحت يدي الآن .. بينما قام زملاء الفصل الدراسي ، ببيعه ، والتخلص منه ، عقب انتهاء ذلك العام الدراسي مباشرة .. ما زال اثر هذا القلم ، الذي يفسر الكلمات ، يوضح لي .. ان الفصول التي قراتها يومئذ .. هي هذه :

فصل المقدمة الخاص بوليم شكسبير ـ جزء لا يزيد عن خمس صفحات من الفصل الخاص بحلم ليلة صيف ـ تاجر البندقية بدقة وعناية ، مع قراءة منظر المحاكمة بدقة وعناية ايضا ـ صفحات قليلة من « على هواك » ـ فصل يوليوس قيصر بدقة وعناية ، وكان ذلك مطلوبا ، لان مسرحية « العاصفة » كانت هي المقررة على السنة الخامسة ، في العام التالي .. فكانت هذه الدراسة بمثابة تحضير للسنة النهائية ، واول دراسة جادة لمسرحية كاملة من مسرحيات شكسبير ..

يتبين من هذا ، اني خرجت من السنة الرابعة الثانوية ، بمعلومات قيمة عن اربعة امور وهي :

حياة شكسبير ـ تاجر البندقية ـ يوليوس قيصر ـ العاصفة ..

ولا بد من وقفة سريعة ، عند كل من هذه الامور الاربعة ..

ونبدأ بالحديث عن الفصل الخاص بحياة شكسبير.

والواقع ان هذا الفصل ، كغيره من الفصول التي اشتمل عليها هذا الكتاب الصغير ، قد استغل استغلالا كبيرا ، وكان له اثر بعيد في ادب شكسبير المنقول الى العربية .. فقد نقل هذا الفصل وغيره من الفصول ، في اكثر من موضع .. وتحت يدي الآن ترجمة بعض فصول تشارلس وماري لام ، مترجم ترجمة حرفية ، في سلسلة اصدرتها دار الهلال بالقاهرة ، قبل اعوام تحت عنوان « روائع شكسبير » ..

وقد أفدت من هذا الفصل ، في أصله الانجليزي ، وانا بعد طالب في المدرسة الثانوية .. وعشت حياة الشاعر ، البسيطة ، البليغة ، المؤثرة .. وليس من مقصدي هنا ان انقل هذا الفصل ، ولكني اكتفي بنقل فقرات منه ، ذات اهمية خاصة ، في توجيه الحديث ، وجهته الصحيحة ..

تقول الكاتبة ـ أندرو لانج ـ في مدخلها الرقيق الى التعريف بشكسبير ، ما يلي :

ـ « في اليوم الثالث والعشرين من ابريل ، عام ١٥٦٤ ، كان يرقد وليد في مهاد خشبي ، في بيت جميل ذي واجهة بيضاء ، تغطيها عوارض خشبية سوداء .. في مدينة ستراد فورد ـ أن ـ ايفون .. ولا شك ان والديه كانا معجبين به كل الاعجاب .. ولكن لم يكن ذلك الا لمجرد كونهما والديه .. لان جيرانهما ممن حضروا ليشاهدوا الطفل لم يروا فيه شيئا يميزه عن سائر الاطفال .. ومع ان والديه كانا فخورين به في ذلك الوقت ، الا انه لم يكن ليوجد احد اعظم فخرا منهما ، لو انهما علما يومئذ ان المسرحيات التي سوف يكتبها وليدهما الصغير « وليم » .. سوف تظل تقرأ ، وتمثل في جميع انحاء العالم ، باقية ما بقيت اللغة الانجليزية! »

وتتحدث الكاتبة عن نشأة شكسبير ، وصلته بالمسرح ، في قريته منذ الحداثة ، وتعليمه الاول .. بنفس اسلوبها الرشيق .. فتقول :

ـ « انه لمما يثير العجب حقا ، اننا لا نعرف الا القليل عن نشأة أولئك العظماء ، الذين نفخر بهم .. ولذلك فليس لنا الا ان نحدس في اغلب الاحيان بما وقع لصاحبنا في مستهل حياته ، من تلك الملاحظات التي تقع منه عفوا ، في بعض مسرحياته ، التي ستقرؤها في يوم من الايام .. واذا فلا بد انه التحق بالمدرسة الاولية ، التي لم تكن تبعد عن داره الا قليلا ، والتي كانت تتألف من بناء طويل منخفض ، وبها قماطر من خشب السنديان ، يمكن ان تراها الآن على نفس الهيئة التي

رآها عليها شكسبير من قبل .. وهنـاك تعلم القراءة والكتابة ، وتعلم اللاتينية ، شأنه في ذلـك شأن وليم بيدج ، الطفل الصغير الذي درس في كلية ايتون ، والذي حدث عنه شكسبير في مسرحيتـه « زوجـات وندسور المرحات » ... » ..

ثم تتحدث الكاتبة عـن الشاعـر ، كيف كتب مسرحياته ، ومتى ، وفي ذلك تقول :

ــ « وحتى السابعة والعشرين من عمره ، لم يكن شكسبير قد كتب شيئا من مسرحياته . وفي تلك السن كتب اولى تلك المسرحيات ، وهـي « مجهود الحب الضائع » .. كما انه كتب « العاصفة » وهو في السابعة والاربعين .. وبين هذين التاريخين كان يجمـع معلوماته مما يقرأ في الكتب ، وما يسمع من الناس ، ومـا يرى حوله من شؤون الحياة .. ان اقل الحوادث شأنـا ، والكلمات العابرة التي تلقى عفوا ، كانت هي مفتاح تفكيره .. وعلى اساس هذا العلم الوثيق ، اقام الشاعر بنـاء الشخصيات في مسرحياته .. اما القصص فكان يأخذها حيثما اتفق له .. من التاريخ ، ومـن الاساطير ، ومـن قصص الحب ، ومن الخرافات القديمة ، ومـن خياله الخاص .. ولكن مهما يكن مصدر هذه القصص ، فانه كان يخرجها دائما مطبوعة بطابع عبقريته الشخصية .. »

وتختم الكاتبة هذا الفصل بالحديث عـن الايـام الاخيرة من حياة شكسبير .. فتقول :

ــ « اقام الشاعر خمس سنوات راضية ، في « الدار الجديدة » .. يقضي وقته بين حديقة الدار ، وبين متابعة شؤون الحيـاة اليومية في المدينة ، وبين الحديث مع من يلقاه من اهلها .. أولئك الذين اتخذ من اكثرهم نماذج لشخصيات مسرحياتـه ، دون ان يحس بذلك منهم أحد .. وفي اوائل يناير من عام ١٦١٦ بـدأ الناس يرون اثر التغير على ملامح وجهه ، وان ظل مرحا بشوشا .. وبعد أسابيع قليلة وصل الشاعران درايتون، وبن جونسون .. حيث قضيا معه فتـرة سعيدة .. الا ان وطأة المرض ثقلت على الرجل ، وبدأت صحته فـي التدهور منذ ذلك اليوم .. ولـم تتطاول بـه الايام الا ريثما أخضرت الاشجـار ، وامتلأت حديقـة « الدار الجديدة » بالازهار .. وفي الثالث والعشرين مـن ابريل عام ١٦١٦ لفظ آخر انفاسه .. تاركـا وراءه اعظم الاسماء قدرا ، في تاريـخ الادب الانجليـزي ، علـى الاطلاق ... » اهـ .

هذه المقتطفات مـن الفصل الاول مـن كتاب « التعريف بشكسبير » .. كافية في الدلالة علـى روعة الموضوع الذي قراته ، في ذلـك العهد الباكـر بشغف ، وتشوق ، وحب .. ولست اريد ان استطرد في الحديث عن الفصول الثلاثة الباقية التـي قراتهـا ، في هـذا « التعريف » الموجز السريع .. ذلك بأنـي سأعود الى الحديث عـن موضوعات هـذه الفصول ، بتوسع .. فالعاصفة ، كانت موضوع الدراسة في السنـة الخامسة الثانوية .. ولها حديث طويل ، كما انـي عـدت الى المسرحية ذاتها ، بعد فترات طويلة من الحياة اثر فترات .. محاولا ان استخرج منهـا شيئا ، يبقـى في الادب العربي .. وكذلك فعلت بمسرحيـة يوليوس قيصر .. اما مسرحية تاجر البندقية .. فلم احاول علـى مـدى الحياة ترجمة شيء منها ، ولكنها تتصل منذ ذلك الوقت الباكر ، بالمحاولة التي صحبتني مدى الحياة ، وهـي محاولة الترجمة ، ولذلك اقف عندها وقفة قصيرة ..

وقصة تاجر البندقية ذاتها ، ليست ممـا اعنـي الحديث عنه هنا .. وان كان الموضوع حافلا بالمشاهـد الرائعة ، والعبارات البليغة .. ألتي تصور ذلك الحقـد الخالد ، في نفس اليهودي ، لكل مـا هـو انساني ، وحضاري منذ فجر الخصومة ، بين اليهودية والمسيحية الاولى .. وهو مشهد يظهر مجسدا رائعـا في مسرحية شكسبير .. ولست أريد ان اتحدث كذلك عـن تلـك الحبكات المسرحية المتقنة ، وذلـك التنكـر المسرحي المذهل ، الذي جعل بورشيا ، وتابعتها نيرشا تتخفيان في ثياب المحامي ، وكاتب المحامي .. لتقـوم اولاهما بعرض ذلك الدفع القانوني الضليع المبني علـى اطلاع واسع ، وذكاء بارع .. كما لا اريد ان اعرض لذلك المأزق الدقيق المحرج ، الذي وقـع فيه جراتيانـو .. خطيب نيرشا ، حتى جعله يتنازل عن اعز ما يملك ، وهو خاتم خطوبته ، ليدفعه هدية لكاتب المحامي ، في مقابـل ذلـك الدفاع المجيد ، الذي انقذ حياة انطونيو تاجـر البندقيـة مـن مخالب اليهودي القاسي القلب ، شيلوك .. وهو لا يعلم ان ذلك الكاتب الشاب الوسيم ، مـا هـو الا زوجته نيرشا .. بدمها ولحمها .. وهي في ثياب تنكرها ؟

لست أريد ان اعرض لكل ذلك ، ولا لشيء منه .. لان حديثي عنه ليس غرضا في هذا المقام .. ولكني اقف فقط عند هذا الكتاب ، الذي كنت أدرس فيه .. واقف عند الصفحة الاخيرة من هذا الفصل .. لاجد انني كتبت بالقلم الرصاص .. بين ما اكتب مـن المعاني بالانجليزية غالبا ، وبالعربية نادرا .. بيتا من الشعر العربي البادىء .. ما هو الا ترجمة لحديث جراتيانـو ، المنظوم الـذي يقول فيه في الاصل :

ــ « انه لم يهتم بشيء في حياتـه ، اهتمامه بـأن يحافظ على خاتم نيرشا .. سليما .. »

لقد كتب طالب المدرسة الثانوية ، المولـع بترجمة شكسبير ، منذ صباه .. كتب وهـو بعـد في السادسة عشرة من عمره .. وفي عجلة من امره .. مترجمة ذلـك البيت فقال :

حينما عاش لـم يخف أي شيء   مثلما يحفظ (السوار) سليما..

و « السوار » خطـأ أساسي في الترجمة .. لان

على مشارف تونس

محمد عبد الغني حسن

* * *

وقع الاختيار على الشاعر محمد عبد الغني حسن عضو لجنتي الشعر والدراسات الادبية بالمجلس الاعلى للفنون والآداب ليكون ضمن اعضاء وفد جمهورية مصر العربية في مؤتمر الادباء ومهرجان الشعر المنعقد بتونس في منتصف مارس سنة ١٩٧٣ . وقد اعد الشاعر القصيدة التالية لهذه المناسبة . وفي ختامها يرد على الشاعر المهجري المغترب الآن بباريس بمناسبة قصيدة له غير متفائلة في العام الجديد ..

في ((تونس)) وكفاك عشره ... أهل ، واحباب ، وأسره
بلد يقيم به الحبيب ... ألا يمر لنا بخطره
هي بلدة كانت وما ... زالت بوجه الكون غره

المقصود هو الخاتم .. و ((مثلما)) يريد أن يقول في موضعها ((مثل ان)) ، على اقرب الاحتمالات .. والتعبير في مجموعه ضعيف ، ولكني وقفت عند هذه المحاولة ، وانا أطلع عليها بعد اكثر من اربعين عاما ، موقف المقدر لها .. فهي المفتاح الاول ، الذي لا اجد قبله شيئا يسبقه ، والمحاولة التي تقود الى ما حدث بعدها ، من محاولات مضنية ، امتدت على طول الحياة ..

ولا أختم هذا الحديث ، دون وقفة اقفها ، وانا اودع الكتاب نفسه .. كتاب ((التعريف بشكسبير)) .. الذي ضننت ببيعه ، كما فعل زملاء الفرقة ، منذ اربعين عاما .. وضننت بموضوعه القيم ، وبما عليه من ملاحظات وتعليقات وتفسيرات ثمينة .. ضننت بكل ذلك ، ان يضيع فبقي معي الكتاب صديقا حميما ، ووفيا كريما .. حتى جئت اودعه الآن .. ربما للمرة الاخيرة .. بعد ان استخلصت منه هذا التقديم لكتاب ((في صحبة شكسبير)) !. نعم لقد وجدت لزاما علي ان اقف هذه الوقفة ، اتصفح الكتاب وانا اودعه ، بأوراقه المصفرة ، الجافة ، وغلافه الباهت المتقشر .. واذا بي اجد على ورقته البيضاء ، التالية للغلاف .. شيئا عجيبا حقا .. عبارة عن ثلاثة ابيات من الشعر العربي .. ليست ترجمة عن شكسبير في هذه المرة .. ولكنها ترجمة عما أحس به ذلك الشاب يومئذ ، وهو يقف على ساحل بحر الحياة ، من الرهبة .. والتشاؤم .. والحذر ..

هذه الابيات الثلاثة البادئة .. تقول :

هي الدنيا ، تريق ولا تروق ... فليس من الرجال لها صديق
لها غدر ، وعذر بعد غدر ... وغدر بعد عذر .. لا يليق
تقلب كل آونة بشكل ... وتغرب شمسها ، ولها شروق

فقوله ((تريق)) أي تريق الدماء ، وهو استيحاء باكر من شكسبير .. وتلاعبه بالالفاظ بين ((غدر)) و ((عذر)) .. او تلاعبه بهذه النقطة ينقلها من الذال الى العين ، وبالعكس .. ليصنع شيئا من الجناس اللفظي الساذج .. وما احتوت عليه الابيات في مجموعها من فكرة التشاؤم ، والرهبة ، والحذر .. كما اقول .. كل ذلك اقف عنده اليوم في اشفاق .. متذكرا ايام الشباب، وما حملت في طياتها من ذكريات ، وما تنبأت به في مقبل الغيب من مفاجآت ..

ومع ذلك .. فما علينا .. ولنمض في حديثنا عن شكسبير نفسه .. طفل المهد في ستراد فورد — ان — أيفون .. منذ اكثر من اربعة قرون .. وحديث العالم الحي ، النابض بالثقافة العالية ، ما بقيت اللغة الانجليزية .. وشاغل المسرح العالمي ، بترجماته المختلفة، على مدى العصور .. والاستاذ العظيم ، والصديق الكريم ، لصاحب هذا القلم العربي .. منذ صباه .. على بعد ما بين اللغتين ، والوطنين ، والمزاجين ، يحاول على مدى حياته أن ينصفه من ترجمات كثيرة ، لم تقدمه على حقيقته في لغته الانجليزية .. ولم تضف به شيئا أصيلا الى لغتنا العربية .. بل ربما كانت المؤاخذة على مسخها لروائعه .. أكبر من الشكر على التعريف بها ، او التقريب اليها ..

نعم ، ما علينا .. ولنمض في الحديث ...

مصر الجديدة

عامر محمد بحيري

الخالدون هنا ـ اذا أحـ   صيت ـ لا يحصون كثره
يكفي « ابن خلدون » فخا   را أنها منحته فخره
حملته في ذراتها   نسبا ، وميلادا ، وفكره
قد كنت آمل ان يسا   عفني الزمان لها بزوره
ولكم حلمت بأن أطيـ   ف بها ولو في ركن حجره
ووددت لو اني ظفر   ت من الكروم بها بقطره
فأبيت أقطف كرمها   وأظل أعصر منه ....
ولكم رجوت بأن أقبـ   ـل زهرها ، وأشم عطره
أمنية سمح الزما   ن بها على وهن وكبره
يا ليتني أهدى الثنا   ء لصنعه ، وأصوغ شكره
ان الزمان اذا صفا   لم تبد في عينيك كدره
في غرة جاءتني البشرى ، فقلت : سلمت غره

في « تونس » اجتمع الرفا   ق على المحبة والمسره
في مجمع للشعر ألف بينهم هدفا وفكره
يختار شاعرهم لآ   لىء شعره ، ويخوض بحره
يسع (١) المذاهب كلها   في غير تضييق، وحجره (٢)
فيه ملامح من شبا   ب اليوم،أو «شيخ المعره(٣)»
ان الجديد أخو القد   يم يشده ، ويرد اصره
والفكر تيار يتا   بع في المجال الرحب سيره
ان الحياة تمل ان   جمدت وباتت مستقره
لا بد من موج يذكـ   ـر بالحياة المستمره
ان النسيم يمل لو   لم تطوه للريح زفره
والروض يسأم لو يظل   طراءة ، ويدوم خضره
ان الحياة تطور   متعقل لم يعد طوره
الجاهلية لم تعد   لزماننا عصرا وفتره
كانت لنا فجرا فكيـ   ـف نعيد للتاريخ فجره
لا بأس بالتجديد لكن في محافظة وغيره
من ضيع المجد القد   يم أضاع في الاوهام عمره

جئنا من البلد الذي   أضفى الربيع عليه بشره
نفدت محالته ولم   تستنفد الاحداث صبره
انا هناك بمعرك   يتحمل الابطال حره
حيث الشظايا ، والمنا   يا ، والخطوب المستحره
والموت ينظر للحما   ة على « القناة» بألف نظره
في موقف تبلو النفو   س سعيره ، وتذوق مره
يتساقط الشهداء فيه   زهرة في اثر زهره
انا التقينا ههنا   والاهل في ضيق وعسره
جثم العدو على حما   ي ، ودنس الملعون طهره
ألقى بكلكله وركز   لؤمه ، وأشاع مكره
لكننا عين على التسهيد لم تنعم بقره
جافت مضاجعنا الجنو   ب كأنها من فوق جمره
وقف الاسود على الحدو   د ، وودعوا لين الاسره
يتوقعون الموت حتى   يدرك الموتور ثأره
يجد الشهادة في سبيل الله تكريما ، ونصره

ويرى الجهاد رصيده   من هذه الدنيا وذخره
جذلان ، يرسم في الترا   ب مصيره ، ويعد قبره
تطوي الشجاعة أصفر   يه ، ويملأ الايمان صدره
ثقة بأن الله يكـ   ـفل نصره ، ويشد أزره
والله أعدل ان يضيـ   ع على الفتى الصبار أجره
حاشى لعدل الله يخلف وعده ، ويضيع بره

يا باكيا للعام كيـ   ف هتكت خلف الغيب ستره
فيم البكاء على غد   لم تجل «يا صداح» (٤) أمره
تبكي لعام طالع   لم تشهد الايام فجره
عفوا فهل ألقى اليـ   ك الغيب يا صداح سره
ان القياس على الذي   ولى يورث كل حسره
فدع القياس فقد تخيـ   ـبه الغيوب المستسره
واعلم بأن الله فيـ   ـه عدالة ، ولديه قدره
حاشى لعدل الله يتـ   رك ظالما في كل مره
فالله يملى للظلو   م، وليس يمهل قيد شعره
دع كل جبار يصب كؤوسه ، ويعب خمره
دعه يظن بأنه   لم تخلق الاقدار غيره
دعه يصعر خده   ويطيل بين الناس كبره
فالله ألطف رحمة   من ان يبث الشر شره
والله أحكم قدرة   من أن يمد البغي ظفره
أوما كفتنا من دروس الامس «يا صداح» عبره
أو لم نكن في جبهة التا   ريخ «يا صداح» دره
ان الحظوظ اذا عثر   ن أما تقال لهن عثره
بالله دع عنك التشا   ؤم ان غايته المضره
واضحك ! فما جدوى البكا   ء، وهل ترد (٥) الخطب عبره
وأضىء ببسمتك اللطيـ   ـفة في الليالي المكفهره
وأقم لهذا الشعب من   أهدافه في الكون فكره
بالله لا تجمع عليـ   ـه ملامة وشقاء خبره
وتأن في تعنيفه   فلعل للمسكين عذره
فلقد يكون على الحوا   دث مرغما فيها ومكره
ولقد تكون الحادثا   ت الفاشيات قصمن ظهره
لكنه ان صادف الـ   قلب الكريم أعاد دوره

أنا لا أروم المعجزا   ت ، ولا أريد النصر طفره
المجد ليس يكون الا   للذي أغلاه مهره
ثمن المحامد همة   كبرى ، واقدام ، وثوره

القاهرة   محمد عبد الغني حسن

---

(١) الضمير في يسع يعود على الشعر ، (٢) والحجرة بفتح الحاء هو التضيق والمنع ، (٣) هو أبو العلاء المعري ، (٤) هو الشاعر جورج صيدح الذي جانب التفاؤل بالعام الجديد « قياسا » على الاعوام السابقة ... (٥) العبرة بفتح العين ـ الدمعة : أي أن الدموع لا تدفع الخطوب .

رؤيته كانت شاغلي لايام مضت ، ما عرفته ابدا . سمعتهم يتحدثون عنه . ما زلت اسير شهوة دافقة تدفعني ان اتطلع الـى وجهه . شتمني اكثر من مرة . تطاول وشد جسده المتقلص واشترى حذاء عالي الكعب . قالوا لي انه اصبح شيئا ... بهلوان ماهر ، مثقف بالـغ الخطـورة ... وتقلصت ، ورأيت مقعدي يتكور ، والمقهى ومـن فيه اقزام متحركة . رجل الساعة هبة العصر . صرصار كافكا المتحرك . سيحضر بعد قليل .

كنت وحيدا على طاولتي ،اجلس صامتا . افكار شريرة تغتالني . لم اشتر قناعا . الاقنعة كانت وما تزال تستهوي الكثيرين ، ما مررت على سوق الاقنعة الا شعرت بقشعريرة خوف . الاقنعة تخيفني . تحـدق بي بعيون فارغة متآكلة جوفـاء . الوانها الضاحكة تهزأ بي وتتركني مهملا في ركني الضيق ... ضاق صدري ... حللت رباط عنقي . طلبت فنجانا ثانيا من القهوة . لا يكلمني ... كلهم الى جانبي ... ينتظرون صديقي اللدود .. ارتدوا اقنعتهم صارخة الالوان . مختلفة التقاطيع . وجوههـم بعروقهـا المشدودة ... وسحنتهـم الكئيبة كانت تتبدل ... اما انا فما زلت مشدودا الى مقعدي . اضحـك باستهزاء حتى من نفسي ..

ترى الى متى سأنتظر ؟؟ أظل طويلا محدقا في الفراغ .. اتأمل صاحب المقهى مسترخيا شبه نائم ، والشبـاب بأقنعتهم الملونـة ، وضحكاتهم المجلجلة مع حلقات دخان سجائرهم تدور حلقات حلقات مع افكارهم المختلطة اختلاط الاحلام في مخيلة جارنا السكير الذي حدثني عن مملكة بعيـدة وارض خصبة ، وملكات جمال ، وسماء لازوردية ساطعة .وجبال جماجم ، وابالسة وسعادين ... ارتفعت مع جـاري الى عالمه الخاص الوهمـي لاعيش بعيدا عن واقع احببته ..

كنت ولا ازال انظر حولي بلاقناع لاشاهد فلاحا اسمر الجبهة ، متين العضلات ، يقدم من جبهتـه لؤلؤا يخضب الارض الطيبة ،وعاملا اسمر الجبهة مرهف الحس ، قوي البنيان، شامخا كسنديانة ، وانسانا طيبـا يقدم نفسه فداء للحق ومشعلا ما اضاء مرة حتى انطفأ ... رياح قوية تعبث بغصن شجرة خضراء غرستها يد خضبتها الحناء ... والريح دائما اقوى من الفيء والاخضرار ... الريح تعوي ابـدا فـي مسالـك الدروب . ريح هوجاء ارسلها البحر الصاخب ابدا لتعيث بارض الانسان المتطلع دائما الى زرقة السماء .

كتبت كثيرا ، مزقـت كثيرا .

الاقنعـــة

بقلم رياض نصور

اتهمني جـاري السكير بالجنـون وشتمني .

الفارس المغوار لم يحضر .اخذت اخط قصة جديدة على اجنحة الهواء في جنبـات المقهى المتثائب فـي صمت . كصاحبه الكهل المكـرش شبه النائم في غفلة الزمن ..

عيون جاحظة ، وجلجلة اصوات مبحوحة مختلفة تتردد مع ضربات النرد المستمرة على وجه الطاولـة المستغيث ابدا .

وعادت اصابعي تدور مع حلقات الدخان لاكتب قصة جديدة ، لاصور لوحة تشكيلية جديدة ارتفع بها الى مصاف الادباء واشارك الاصحـاب لهوهم وانتظارهم الطويـل للمعلم الرئيس ..

ترى متى يحضر ؟؟ المعلم يحب الشتم ، يطعن في الظلام . طعناته مسددة ابدا . في عنقه اكثر مـن قتيل واحد ــ مثل بجثث اكثر من رجل واكثر من عذراء ــ قال لنفسه سأصبح جبارا ذات يوم ، وتربـع على عرش من جماجم الآخريـن ، واشترى قناعا يحوي فيضا مـن الالوان المبرقعة ــ واخذ فـأسـا وانهال به ضربا يمنة ويسرة وكيفما اتفق .. ثمة نباتات خضراء ظلت دائما وابدا مشرئبة في وجه الريح.

اكثر من افعى تسللت في الظلام بين جماجم الموتى . واكثر من معول فقد صلابته فتحطم ... لا يوجـد نبتة تقوى علـى العواصف ... ستنقصف يوما . ستموت لكي لا تعود فتزهر مع الربيع من جديـد ... من يدري ... الرفاق ينتظرون الرئيس منذ امد بعيد . المنتظرون في لهوهم الصاخب حينا ، الصامت احيانا . بامكانهم انتظار فـارسهم المتوج الى الابد . الجـوع يكمم افواههم بالصمت والملل يكلل رؤوسهم بالغار ... رؤوسهم محشوة بمواد لا تتفجر . هادئة هدوء ابي الهول منذ الازل ... لا تدركهم الحميـة لانهم خرجوا من قوقعتهم بلا اجنحة واكسبهم الصمت ثوبا ، والطـاعة طعاما ، والاذعان مركزا ..

ترى متى سيأتي المعلم الكبير .. كتبت كثيرا عن ثورة ما تزال تموت امام احداقي كل يوم .. وكتبت عن الصياد المنكود الحظ الذي لم يدري اين يضع شباكه ، فجاءت مقطعة ، مهترئة ، خالية من السمك .. غير ان المراكب والاشرعة حملت له من بعيد فيضا من السمـك الطيب اللذيذ الطعم ... بلاد الاسمـاك والطيور والنجوم ، لـم يبق علـى

قصة

شاطئها اللازوردي الا القواقع الفارغة . سأحمل اشرعتي وامضي. اقنعتكم يا اصدقائي ملوثة ... وعقولكم ضيقة ، ضيقة الى ما لا نهاية .

عاش ، عاش ، عاش زعيم الشباب . عاش عاش .

اكثر من صوت انطلق ينادي عاش ، عاش . وفتح صاحب المقهى عينيه وتثاءب ، ثم هب واقفا بكرشه الضخم كامراة في شهرها التاسع وانطلق هاتفا مع المرددين عاش ، عاش .

وتحرك الزعيم بين افواج الرفاق باعينهم المتطلعة ، واشداقهم المفتوحة ... وتضاءل المقهى وتكور ، وتضاءل الناس . رأيتهم يجرون هنا وهناك بين الطاولات وعلى الجدران ، صراصير سوداء بلا اجنحة لا تصلح لشيء .. واغمض عيني اخاف ان اتطلع اكثر . تمنيت لو احصل على قناع واحد فقط لكي لا ادري.. قناع اتخبط به كخنزير ابله بين المتخبطين .. وينداح المقهى، يطير، يرفعه العملاق المتأرجح ، يطال رأسه السماء ، والصراصير من حوله تلتف وتدور .. عيناي افتحهما ببطء شديد . يبهرني الضوء ... يملني الانتظار .. يقتلني الضجر . مزقت اكثر من قصاصة ورق . حطمت قلمي . تمنيت ان اذوب ، ان اتلاشى ، ان لا اكون .. فليس ما حولي مما ارى ما يكون .

اتسلل من تحت الطاولة . عيناي مغمضتان ... استبق الزمن وامضي في طريقي الى اول مخزن ..

ــ سيدي اريد قناعا ..

ويرد البائع ..

ــ لم يبق عندي اقنعة .. بعتها جميعا .

ــ هل اجد في المخازن المجاورة ؟

ــ لا اعتقد .

وفتشت طويلا ... العرق يتصبب على وجهي ، والشمس تحرقني ، تلهب ظهري باشعتها القاسية وانا الفوادور وانظر الناس حولي يرتدون اقنعتهم الواقية ويتجولون بحرية وامن واندفاع . وانا الوحيد اعرض جلدة وجهي الناعمة لحر الشمس وعصف الريح .. انا الوحيد الذي يجري وبصمت بين الالوف من الناس الناظرين الي باستغراب ..

وادخل بيتي ، واطبق الباب خلفي بغيظ ثم انظر الى المرآة ... فأجد ان الفصون قد ابتدات تظهر نحيلة فوق بشرة وجهي ولن تلبث ان تصبح اثلاما عميقة في الوجه المغضن المتعب .



رياض نصور

•

وامر بيدي فوق خدي .. اظافري تحفر اثلاما جديدة هناك ، وتنبثق الدماء ، وتسيل في الاخاديد العميقة ، فاكسب قناعا من الدم ، من الالم ، من الخصب ، من الحقيقة .. قناع ما اشتريته بمال وما حصلت عليه بزيف ... قناع خلقته بيدي . ذوب الم وانبثاق وصراع مع الحقيقة المرة .

وافتح النافذة وانظر الى السماء، متطلعا الى الوف من المصابيح المتوهجة ، بعيدا عن الارض الوسخة ... وتصلني الاصوات .. تلاحقني منذ الصباح الباكر . الاصوات العربيدة النكرة نفسها ، اصحاب الاقنعة يصفقون دائما للقائم ويبصقون على الذاهب ... اقنعتهم تتجدد باستمرار ... الاصوات الوسخة نفسها تردد دائما وابدا عاش عاش ويسقط يسقط .

اغلق نافذتي ، واطمر راسي المدمى لابتعد . فقد حطت غربان سودعلى النافذة المخضوضرة واخذت تنعق وتنعق في هدوء الليل البهيم ... كم وددت لو طال صمتي وانا انظر الى النجوم البعيدة ... ولكن ... باب بيتي يدق من جديد ويطل جاري السكير برأسه الصلعاء مرددا سأحكي لك حكاية ... حكاية كالكابوس ... تصور انني شاهدتها ورأيتها واعتقد ان الاخرين شاهدوها ... رأيته يخرج من البحر اخطبوطا كبيرا يخيم ظله على البلد ... له ايدي كثيرة متشعبة يمدها حيث يشاء . نهم ، عطش ، اكول ، يلتهم ما يريد بشراهة كبيرة . يتناول اطايب الطعام . تتسلل يده الى الموائد الى المنازل ، الى التكايا ، الى السرر . له اجمل النساء واحلى الفتيات واندر الجواهر واغلى العقود .. له كل شيء ومع ذلك فهو ينقم على الناس والوجود . من لم يرتد قناعا طرده من البلد او انزله السجن ، من لم يشلح له ثوبه ، ويظهر له عورته عد خائنا رعديدا نزلا ... ومن لا يكفر بالوطن لا يعد مؤمنا ... الاخطبوط يبتلع كل شيء ... ويلتهم ما حوله بسرعة وجنون . له اكثر من الف عين الى جانب اياديه الكثرة المتأرجحة في سماء البلد ... ويستمر صوت جاري السكير بعربدته الهستيرية مثرثرا . فاغلق اذني مجددا وانظر في المرآة لاجد ان الشعر في جسدي

خير البر

رضيت من الحياة بما هداني ... اليه الله من قبس ونور
يقود ركائبي في الكون حب ... لما فيه على رغم الفرور
ويعطفني على البؤساء قلب ... يجرعه الاسى غصص الفقير
فيا طرفي اذا احجمت يوما ... عن الضعفاء لم تك بالبصير
ويا ربي الى الاحسان سدد ... خطاي اسد حاج المستجير
ومر بالبر يرسله شعاعا ... ينير دجنة البؤس المغير
وكلني للفقير ارد عنه ... اغارة ذاك العوز العسير
فما أفرغت من هبة يميني ... وما شرك بالسرور بها شعوري
وكيف أصد عن مدد اراني ... اليه يسوقني جذلا ضميري

حياتك ايها الانسان ظل ... يزول غداة معتزم المسير
وعيشك في دنى الشهوات غل ... لنفس تشرئب الى الاثير
وحالك في ظلال العمر حلم ... يحول غدا لدى المثوى الاخير
فكل مسير سيعود يوما ... لمصدره ويا نعم المصير
فدعك من « الهيول » وما تؤدي ... اليه غريزة الطبع الغرير
فما عبد النضار سوى نفوس ... تسف من السماء الى الحفير
وما الجشع الزنيم سوى قيود ... يكسرها الردى فوق الصخور
وما اهل الحياة سوى رسوم ... يجملها الرحيب من الصدور
فلا تغتر في دنياك يوما ... ولا تثمل بنشوتها الفرور
ولا ترهق اخاك وكن نديا ... وعامله برحمة الغفور
وخير البر ما قد جاء عفوا ... فلا داع هناك لمستجير

الارجنتين ... فائق جبور

سيتحول الى ايادي كثيرة تمتد في كل اتجاه لترفع الاقنعة عن الوجوه لتجعلها مضيئة بلا زيف كالنجوم المتناثرة في القبة الزرقاء .

ويعود لي صوت جاري السكير لعنه الله مرددا :

ـ لقد اصبحت البلدة كلها بمن فيها لقمة سائغة في فم الاخطبوط العنيد .

المدينة بمآذنها المشرئبة ، بقبب اجراسها المجلجلة ، بضحكة اطفالها، ولهو شبابها . بابتسامة كل عذراء ، بما يخطه كل كاتب ، وبما يحشو به كل مدرس رؤوس، طلابه من حماقات ..

هكذا أصبح جاري السكير مع اخطبوطه المزعوم فيلسوفا ، وانا المسكين الهارب من المقهى بدون قناع لانني لم اجد لوجهي قناعا ارتديه ... فوجهي غير صالح للاقنعة وان اصبح فيلسوفا لان بيني وبين الفلسفة اكثر من عمق .. فسددت اذني بقطعتي قطن ، وافترشت الارض ، وحدقت بالجدران التي حولي فوجدت الوف الصراصير تتراكم على الجدران ، تظلل الثقف ، والبيت يتحول الى ثقوب ارى الصراصير من خلالها تذهب وتجيء ... والاجراس تدوي ولا ادري ماذا يقول جاري السكير الان ... كل ما ادريه ان ثقبين كبيرين في وجهي يطلان على جيوش الصراصير المتنقلة في كل جهة وصوب ... والاجراس ترن وترن ... واصوات مجهولة تدوي وتدوي كتفجير القنابل ... كدراجات نارية يركبها مقنعون جدد بلا عازل صوت .. تلاحق بعضها بعضا ، وتدوي فاعض لساني ... وارفرف باجنحة هامدة .. لا اقوى على النهوض او الرؤية .. ويتغلغل في اعمق اعماقي في حناياي ... اكثر من يد لاخطبوط شرير .

اللاذقية ... رياض نصور



حارث طـه الراوي

نـاجي القشطـيني

بقلم حارث طـه الراوي

***

يقترن اسم ناجي القشطيني بالشعر والوطنيـة والاريحية والطيبة وبفترة من تأريخ العراق تمتد مـن اواخر عهـد العثمانيين فيه الى نهاية الاربعينات . وهي فترة ليست بالقصيرة كان الرجل فيهـا اللسان الصريـح والفصيح للوطنية الصحيحة . يشهد عـلى ذلـك شعره القومي المتأجج فضلا عن انه كان من الذين يشار اليهم بالبنان من رجال التربية والتعليم في تلك الفترة المنصرمة .

وكان ، قبل ان يتوفاه الله في السادس عشر مـن كانون الاول ١٩٧٢ البقية الباقية مـن جيل الاساتـذة الرواد الذين انفرط عقدهم بوفاة عبـد اللطيف الفلاحي (١٩٢٨) وفهمي المدرس (١٩٤٤) وطه الراوي (١٩٤٦) ومنير القاضي (١٩٦٩) .

ذكر رحمه الله في ترجمته لنفسه بمقدمة ديوانـه « اللهفات » انه ولد سنة ١٨٩٩ . وأنـا اذ أجله عـن الابتعاد عن الحقيقة ، لا يسعني الا ان انظر الـى هـذا التأريخ بتحفظ . فهو من جيل طه الراوي ومنير القاضي واعمارهم متقاربة . علما بأن الراوي ولـد سنة ١٨٩٠ والقاضي سنة ١٨٩٢ . اما حيويـة القشطيني المتأججة فلا تقدح في انه بلغ الثمانين ، ان لم يكن قـد تجاوزها بقليل ، قبل ان يتوفاه الله .

ينتمي القشطيني الى أسرة عربية عريقة . وكـان والده الحاج عبد الوهاب القشطيني مزارعـا في أراضي الدورة القريبة من بغداد . « ولم يستملك أيـة قطعة منها . وكانت مبذولة لاعتقاده أن الارض الزراعية لمـن يفلحها بيديه . مما زاده احترامـا بين شركائه وعارفيه . وكان مع اشغاله الكثيرة يصاحب العلماء ويعاونهم على البر والتقوى الخ .. » (١)

التحق القشطيني بالكلية الحميدية في سامراء وبقي في صحبة خاله الشيخ عباس حلمي سبع سنين . ودرس في مدرسة خضر الياس مع زميليه المرحومين طه الراوي ومنير القاضي . ثم انخرط في سلـك المدارس الموجودة آنذاك . وبعد اتمام دراسته زاول تعليم العربية فكان من المجلين . وتتلمذ عليه جيل مـن الشبان الذيـن لمعت اسماؤهم فيما بعد في آفاق التربيـة والتعليم والادب والسياسة . ثم اسندت اليـه بعض الوظائف الثقافية كمديرية المطبوعات العربية ومديرية المكتبة العامة فكـان مثال الكفاءة والنزاهة الى ان بلغ السن القانوني فأحيل على التقاعد حيث أنعم الله عليه بعزلـة مريحة في منزل هادىء جميل بالاعظمية يطل علـى نهـر دجلة السـاحر . وافرد لمكتبته الانيقة غرفة خاصة في يمين الداخل الـى المنزل تتصدرها صورة للاستـاذ الكبير المرحوم فهمـي المدرس مهداة منه الى صديقه القشطيني .

لم يسعدني الحظ بالتتلمذ على العم القشطيني كما تتلمذت على العم منير القاضي في كلية الحقوق . ولكـن صلتي بالعم ناجي لم تنقطـع . كانت في الطفولة صلـة بشبليه : سعدون ومصطفى أيـام كان المرحوم والدي يصطحبني والاخ هاشم الـى دار القشطيني في الصالحية وذلك في أواخر الثلاثينـات فنركب الدراجات المثلثة العجلات ونمارس اللعب منسجمين . ثم جمعتني حرفة الادب بالاديب الشاعر القشطيني فكان يقدرني ويشجعني ويفتح لي قلبه . وكنت لا انقطع عـن زيارتـه في منزله بالاعظمية وان تباعدت الفترات ، وان ذهني ليختزن عنه اجمل الذكريات .

كان ــ رحمه الله ــ قصير القامة ، من غير افراط . نحيف البنية . أبيض الوجـه مليحـه . في عينيه السوداوين وميض متوهج يفصح عـن قـوة الارادة والتصميم والذكاء . اذا تحدث اكثر من الاشارة بيديه . واذا سار أسرع وباعد بين الخطوة والخطوة ، فنشاطـه نشاط ابن الثلاثين أو الاربعين بعـد ان تجاوز السبعين بسنين .

وهو يؤثر ــ لفرط تواضعه واريحيته ــ ان يكرم ضيفه بيديه . وطالما قدم لي الشاي أو المرطبات بنفسه .

---

١ ــ القشطيني ، مقدمة ديوانه « اللهفات » ص ٩ .

ولا تسل عن حرجي وخجلي امام هذا التواضع الجم .

وكان أبو سعدون خفيف الروح ، كثير المرح ، ولكن مرحه لا يلجم وقاره ولا يخرجه عن دائرة اتزانه . ولم أسمع منه نكتة باردة أو نادرة فطيرة .

ولم يكن مزهوا بنفسه . ولم يجعل ذاته محورا لحديثه كما يفعل بعض الشعراء أو المتشاعرين ... فهو يتحدث عن غيره اكثر بكثير من حديثه عن نفسه ومواهبه الشخصية .

وكان الراحل الكريم مطبوعا على الوفاء لا ينسى او يتناسى صديقه حال حياة الصديق او بعد موته . وكنت اشفق عليه عندما يذكر اصدقاءه الموتى ويترحم عليهم متحسرا متلهفا وهو يغالب عبراته ..

لم يكن القشطيني اديبا منتجا . ولكنه كان اديبا راويا ، بارعا في روايته . وكان شاعرا رقيقا من شعراء الطبع والسجية لا من شعراء الالفاظ والصناعة البيانية. وكانت قصائده القومية في العشرينات والثلاثينات تبرق وترعد وتجلجل في آفاق العراق المدلهمة ...

وديوانه « اللهفات » الذي نشره في اواخر ١٩٦٨ يضم بين دفتيه بعض تلك الصرخات القومية التي تهيأ له جمعها ، وما على المعنى بشعر الرجل الا الرجوع الى جرائد العشرينات والثلاثينات التي صدرت في بغداد ، ولا سيما الوطنية منها ، ليقف على آثار شاعرنا بصورة أشمل .

اسمع صيحته العالية « ما وراء الحجب » (اللهفات ص ١٣) التي اطلقها في مستهل الثلاثينات لتحس بروعة الشعر الثائر الصادق الرقيق المشرق الديباجة :

امتي والحرب عتق فاذا ... وقعت واقعة الحرب تبي
وخذي الثأر ولا تنتظري ... نجدة من مشرق أو مغرب
نجدة الايمان تكفينا اذا ... تتلاقى ساعة المنقلب
امتي لا تأمني وعد العدا ... فهو مصبوغ بصبغ كذب
وابتسام الثغر برق خلب ... خاب مغرور ببرق خلب
لم تكن عصبة (ودرو ولسن) ... عندهم الا لقطع العصب
ولكم جربت ما قد وعدوا ... فلاخذ الثار يوما جربي

واستمع الى صرخته ابان الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ التي دعاها « اين الحليف » (اللهفات ص ٤٩ ــ ٥٠) ففيها ما ينبه النيام ويثير نقمتهم العارمة على الحلفاء ووعودهم الكاذبة التي مزقت الامة العربية الواحدة وعبثت بحريتها وثرواتها وجعلت من فلسطين الشهيدة ملاذا وموطنا للحاقدين على العروبة والاسلام من أبناء صهيون :

وطني وحقك لو أبا ... ح دمي فاني لم أبح
فلانصحنك ما حيي ... ت عساك يوما تنتصح
وطني لقد فتشت ميدا ... ن الحياة المنفسح
لم ألق غيرك في الورى ... ذا محنة : الا منح
ان الذين نصرتهم ... لما جوادهمو كبح
هضموا حقوقك مذ رأو ... ك بها لطالبها سمح
وتقاسموك وزعمهم ... في ذاك انك تنصلح
سرعان ما صحت عزا ... ئمهم : وعزمك لم يصح
قد غرك البرق اللمو ... ع فبات صدرك منشرح
وفرحت في تلك الوعو ... د وخاب فيها فرح
أين الحليف ؟ وأين من ؟ ... يصفي اليك فتقترح
قد خان عهدك ساخرا ... لما بتجربته ربح
والحق قد يخفى ولـ ... ـكن بعد حين يتضح

واسمع صرخته « يوم البركان » (اللهفات ص ٩٣ ــ ٩٥) التي اطلقها يوم هبت المظاهرات في بغداد هاتفة بسقوط الاستعمار البريطاني وسقوط عاقدي معاهدة ١٩٣٠ العراقية البريطانية الجائرة ونشرتها له جريدة « النهضة » في ٣٠ حزيران ١٩٣٠ بتوقيع مستعار . وقد فضح في هذه القصيدة النارية خيانة عاقدي تلك المعاهدة المشؤومة الذين استهانوا بالدماء الطاهرة الزكية التي سفحها احرار العراق في الرميثة وغيرها من مرابض أسود الرافدين خلال ثورتهم المجيدة:

هو الشعب كالبركان يقذف ناره ... وهل تمنع البركان يوما موانع
لقد كان مخدوعا فثاب لرشده ... وفحص فيما يدعيه المخادع
فلم ير الا زمرة أشعبية ... تناضل عن غاياتها وتدافع
قد اجتمعت لما صفا الجو ضحوة ... كما اجتمعت حول النقود الاصابع
تحاول ستر الحق في برقع الهوى ... وهل سترت شمس النهار البراقع
وتزعم أن الشعب طوع بنانها ... لقد كذبت فالشعب ما فيه طائع
لئن وضعت فوق الحلوق أكفها ... ولم ينهها يوما وصي ووازع
فاني أرى تلك الحلوق مدافعا ... ولا بد من يوم تثور المدافع

ويتذكر القشطيني في تلك الظروف الحالكة بطل الرميثة وموقد ثورة ١٩٢٠ العظمى شعلان أبو الجون والشيخ ضاري شيخ عشيرة زوبع الذي فتك بالقائد (لجمن) أشرس القواد الانكليز فيقول :

تذكرت والذكرى تهيج لواعجي ... وتوقظ في قلبي الاسى وهو هاجع
تذكرت في ارض (الرميثة) مصرعا ... وفوق تراب الرافدين مصارع
تذكرت من ثاروا على الظلم ثورة ... تزلزل منها جيشة وهو جازع
تذكرت (شعلانا) تذكرت (ضاريا) ... تذكرت من للموت كان يسارع
الا في سبيل الله والمجد والعلى ... دم حقه بين الفراتين ضائع

هذه لمحة عن حياة الشاعر والمربي الراحل ناجي القشطيني ــ رحمه الله ــ وعن شعره الوطني القومي الصادق الملتهب . وهي تحية صغيرة تزجى لنفس أبية كبيرة كانت تستعذب العذاب من أجل وطنها وأمتها وتتدفق معبرة عن آلام وآمال وطنها الاصغر والاكبر ..

وانها ــ والحق يقال ــ تحية المقصر . اذ كان ينبغي علي أن أزجيها اليه حال حياته ليسعد بها وتقر عينه ..

ومما يخفف من وطأة هذا التقصير ان تلك النفس المطمئنة التي رجعت الى ربها راضية مرضية ، كانت تحس بما أحسه تجاهها من محبة عميقة واكبار عظيم .

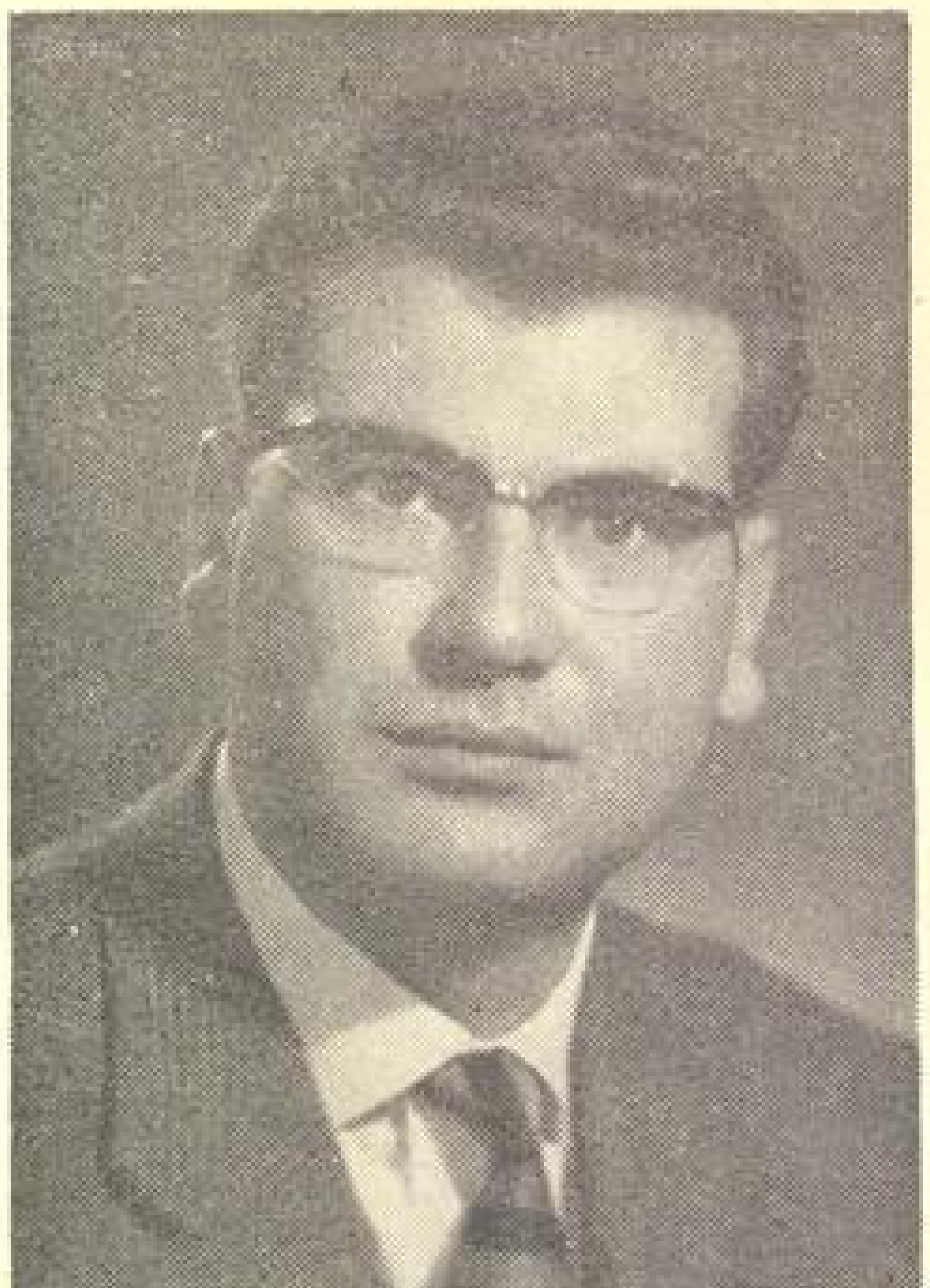
بغداد — **حارث طه الراوي**

سمير خيالي

سمير خيالي مرحبا بسميري ... خلقتك وهما حين عز نصيري
نشدت أخا بين الرفاق يخصني ... بود كشؤبوب السماء غزير
فلم أر الا هازئا ببراءتي ... ومبتسما يخفي اضطغان غدور
خلقتك وهما والخيال يريحني ... لدى واقع يدهى بكل عسير
أضيق بآمالي اذا ما تدافعت ... بصدري وأرغى موجها بهدير
وأكتم مشبوب الجراح تصبرا ... وان آك منها في مهب سعير
أداري الورى جهدي وادعوك لائذا ... لتغدو من هول الصراع مجيري
تسوف لي الدنيا هجيرا يذيبني ... وظلك من فوقي يذيب هجيري
كأني اذا أقبلت قاطع مهمه ... يلوذ بدوح في الرياض نضير
أناديك كي أفضي اليك بهاجسي ... فترمقني في غبطة وسرور
وترحم ضعفي حين تدري حقيقتي ... وتبكي لتقصيري وفرط قصوري
وتلمس ذنبي فادحا فتسيغه ... وتوليه في رفق سماح غفور
عرفتك وضاح الملامح باسما ... تخف اذا أدعوك دون فتور
أريك ادعاء لا يطاق احتماله ... فتقبل مني كبرياء غروري
فازعم أني في زماني نابغ ... يعيش على الدنيا بغير نظير
وأن بياني خالد ستذيعه ... دهور من الاجيال خلف دهور
ويا ربما ودعت عقلي مبالغا ... فتومىء بالتصديق غير نكير
وللنفس حالات من الزهو عندها ... تطير بأفق الوهم كل مطير
فأحسب أني للبرية مرسل ... وأني بملك الكون خير جدير
وأن الليالي حين يربد وجهها ... أشع كبدر في السماء منير
جنون مريح يملأ النفس خفة ... فترقص نشوى في هوى وحبور
ولو لم يكن لي من خيالي صاحب ... يصدقني عند انتشاء شعوري
لغامت أسارير الوجود بناظري ... وألفيت طعم العيش جد مرير
ألا ليت أن المرء يقضي حياته ... كصاحب حلم بالرقاد قرير
تطالعه الاحلام بالروض والجنى ... وتنفحه من زهرها بعطور
فيرقص بين الظل والماء طافرا ... كما رقص العصفور فوق غدير
ويسعده الليل الطويل بهجعة ... لها من عذارى الخلد نفح عبير
فان جاء صبح يعجل الحلم طارقا ... فلا كان صبح مؤذن بشرور
سمير خيالي خير ما فيك أنني ... أجرد عن نفسي لديك ستوري
ألاقيك عريان الشمائل كالذي ... تجرد من أثوابه لطهور
فاستطعم الانس البهيج وانتشي ... بفرحة زاه في الحياة فخور
كأنك تدري يا صديقي أنني ... خلقتك مضطرا فكنت عذيري

كلية اللغة العربية ـ الرياض

محمد رجب البيومي



عيسى فتـوح

يوسف الصارمي شاعراً وصحفياً

بقلم عيسى فتـوح

* * *

ولد الاديب المهجري يوسف الصارمي حوالي عام ١٨٩٨ بقرية « كفر جوايا » في منطقة صافيتا بسورية ، وتعلم القراءة والكتابة واصول التجويد على والده أولا ، ثـم تتلمذ على العلامة سليمان الاحمد (والـد الشاعر بدوي الجبل) عضو المجمع العلمي العربي بدمشق . وفي عام ١٩٣٠ هاجر الى الارجنتين مـع قرينته وطفلته سعاد ، ورزق هناك خمسة أبناء ، فانصرف الى تربيتهم ، تربية عربية صحيحة ، اذ جعل من بيتـه مدرسة لتعليم هؤلاء الابناء لغة الضاد . لم يتعاط في مهجـره اي عمل تجاري كغيره من أفراد الجالية العربية ، وانما انصرف بكليته الى الادب ، فأصدر عام ١٩٤٥ مجلة « المواهب » في مدينة توكومان ، ثم انتقل الى بونس ايرس عام ١٩٤٨ ، وجعل منها اللسان الناطق لجمعية الرابطة الادبية التي تأسست سنة ١٩٤٩ ، وظلت تصدر مـدة سبعة عشر عاما دون توقف ، ولم تحتجب الا يوم ازمع على العودة الى سورية عام ١٩٦٥ مع أسرتـه ، والاستقرار في دمشق بعد هجرة استمرت خمسة وثلاثين عاما .

ان الحديث عن يوسف الصارمي ، يقودنـا بطبيعة الامر الى الحديث عن « الرابطة الادبية » التي نشأت على غرار « الرابطة القلمية » في نيويـورك ، و « رواق ابي العلاء المعري » و « العصبة الانـدلسية » في البرازيل ، وكان المترجم احد مؤسسي الرابطة الادبية .

كانت الحركة الادبية في الارجنتين تعاني شيئا مـن الجمود والتشتت كما يذكر المرحوم البدوي الملثم في كتابه « الناطقون بالضاد في اميركا الجنوبيـة » ولكن مـا ان وصل الوفد العربي المؤلف مـن الاساتذة : أكرم زعيتر ونصري المعلوف ، وتوفيق اليازجي حتى أخذت بالانتعاش والتململ ، بعد رقاد طويل ، فأيقظوا الـروح الوطنية ، واذكوا الشعور القومي العربـي بخطبهـم واحاديثهم ، وصادف ذلك وصول المرحوم المطران نيفن سابا وتبعه عن كثب جورج صيدح ، والدكتور جورج قـدوم ... فتساءل أدباء الارجنتين لماذا لا تكون لهم رابطة تضمهم . ومن يومها راحت اللقاءات تتكرر ، والاجتماعات تتعدد في بيوت اعضائها . اما مؤسسوها فهم : يوسف الصارمي (صاحب المواهب) وجورج عساف ، واليـاس قنصل ، وزكي قنصل ، وجبران مسوح ، وعبد اللطيف الخشن ، وجواد نادر ، ويوسف الغريب ، والدكتور جورج قدوم ، وملاتيوس خوري ، وحسني عبد المالك ، ووليم صعب ، وجورج صيدح ، الذي كان لولب الحركة الادبية ، وأول من نادى بتأليفها ، ودعا الـى عقد أول اجتماع لها فـي منزله ووزع الدعوات على الشكل الآتي :

ان جـاء يـوم الاربعاء المقبـل ... موعدنا يـا سيدي فـي منزلـي
غايتنـا الترويـح عـن أنفسنـا ... بنغمـة مـن نفحـات الامـل
بجرعـة مـن أدب مقطـر ... وحفنـة مـن سمـر معلـل
تجمعنـا (رابطـة) روحيـة ... من يعدل الدنيا بها لـم يعـدل

شعره في الحنين

أخذ الصارمي عن استاذه الشيخ سليمان الاحمد روحه المشبعة بالوطنية ، وايمانه العميق بالعروبـة والاخلاص للادب ، وخير شهادة فيه تلك التـي يسوقها الشاعـر جورج صيدح في معرض الحديث عنه اذ يقول : « يكفيه أنه بر بأمته ، وبر بلغته ، فجعل بيته مدرسة للوطنية ، وجعل منه مدرسة للغة العربية » (١) .

لقد سلخ في مهجره البعيـد خمسة وثلاثين عامـا ويهفو لكل نسمة آتية من ربى الاوطان ، تحمل معها أريج العروبة الزكي ، وعبق القومية الفاغم ، فينتعش لهـا قلبه المضني الغارق في الصبابة والوجد :

نشقت أريجا هب من جانب الحمى ... فقلت ، وقلبي للحمى شد ما يصبو
سـلام عليهـا نفحـة عربيـة ... اذا ما نشقنا عطرها انتعش القلب

ويشعر الصارمي بأن ذنبه كبير ، لا يغفره اعتذار ، عندما ابتعد عن بلاده ، بقصد الغنـى ، فكانت هجرته عقوقا ، ولذلك فما أجدره بالشقاء ، ولعل هـذا الشقاء كان اقتصاصا منه لامته الحزينة التي بارحها ، بل كيف تراه يسعد في بلاد الغربة ، ذاك الذي وهب قلبه لوطنه :

أوه بـلادي لسـت اعتـذر ... فـان ذنبـي ليـس يغتفـر
فارقت نعماءك أبغـي الغنـى ... هيهـات اني بالشقا أجـدر

السبعون

نظمتها حين انهيت السبعين من عمري في السادس والعشرين من شهر آذار ، عام ١٩٧٣ .

محمد العدناني

لك الحمد يا ربي على النعم الكثر على السعد رفافا ، على العزم والصبر
على غمر نفسي بالاباء وبالتقى ، على نسلي المزدان بالخلق والبر
على الوحي والالهام بالخلد أقبلا فأمتعني روضي بأحلامه الخضر
على اللب يجني لي المعاني يتيمة فتلبسها الالفاظ ثوبا من السحر

هيهات أن تسعدني بعدها عن دارها نفس امريء تشعر
نفس امريء تعبد أوطانها عبادة ليس بها منكر

ويلح عليه الشوق اكثر ، ويضطرم حتى يبلغ ذروته، عندما يروح يتساءل عن ذلك اليوم الذي سيطوي فيه شراعه ويعود ليعفر وجهه بتراب الوطن وينشق انسامه العطرية الزكية ، ويشرب من مائه العذب الصافي ، فيبل عطشه الصادي ، وينقع علته اللاهبة ، ويكحل عينيه بآفاقه الرحبة ، وبساتينه النضيرة ، ويتساءل : متى يكتب الله له العودة ، ليرى أهله الذين كان لهم اكبر الفضل عليه ، فعزه من عزهم ، وفخره من فخرهم :

هل لي الى ذاك الحمى عودة أنعم فيها وبها أحبر
أعفر الوجه بتربانه فيزهر الوجه ويستفسر
انشق من أنسامه نفحة هي الشذا الاطيب والعنبر
أنهل من رقراقه نهلة ينقع فيها العطش الاكبر
أرى به أهلي الألى فضلهم علي لا يحصى ولا يحصر
من عزمهم عزمي ومن عزهم عزي وفخري حينما افخر

شعره القومي

عاش الصارمي بعيدا عن وطنه بالجسم ، أما روحه فقد بقيت ترفرف ، وتحوم في سماء الوطن تأسى لاحزانه ، وتطرب لافراحه ، وتراع لاحداثه ... وكثيرا ما كان يضيق ذرعا بهذه الاحداث ، فيفر من ضغط اثقالها الى البكاء ، رغم تجلده وتصبره ، ورغم دمعه الغالي ، وعلمه بأن البكاء سلاح الضعفاء ... لكن نكبات أمته كانت ، على ما يبدو ، فوق طاقته ، وفوق ما يستطيع أن يتحمل :

الام تروعني احداث قومي وتسلمني الى هم وضنك
وأقسم انني قد ضقت ذرعا بمحتمل الاذى فطفقت ابكي
واني للجليد وان دمعي لاغلى نظمه من نظم سلك
ولكن الذي منيت بلادي به من فاقة وأذى وهلك
أهاب بنا الى الشكوى وعندي قصارى العجز أن نشكو ونبكي

ثم يلتفت الى الحكام العرب فيحثهم على توحيد المشاعر ، ورص الصفوف وجمع الشمل الشتيت ، لينهضوا نهضة الرجل الشجاع ، ويقوموا قومة الرجل الواحد ، ويصونوا قدسهم السليب من رجس اليهود الصهاينة الذين شردوا مليونا ونصفا من العرب الفلسطينيين :

ولاة الامر ان لنا نفوسا ليدمعها تخاذلكم ويذكي
ويملؤها الى الاصبار غيظ يماثل عاصف الطامي ويحكي
ولاة أمورنا هلا فتكتم باعداء العروبة شر فتك
وهلا قمتم في الامر فينا قيام بطولة وقيام نسك
وصنتم قدسنا من رجس باغ وتشريد وتدمير ودك

الا ان الصارمي لم يفقد أمله ، ولم يضيع ثقته بالعرب ، بل راح يحثهم على أن يرأبوا الصدع بتماسكهم واتحادهم واتفاق كلمتهم :

حماسة العرب قامت في نفوسكم تدعو لحلقة تثقيف وتهذيب
فكنتم خير أنصار وأكرم من لبى النداء بتأهيل وترحيب
يا نخبة القوم انا في تماسككم نرجو تماسك مصدوع ومشعوب

وهو يرى أن الحفاظ على لغة الضاد الفصحى شرط هام من شروط ازدهار القومية العربية ونموها ، ولذلك يناشد العرب في مختلف اقطارهم الا يجنحوا الى العامية المتطرفة التي تجزيء وتفتت وتجعل من اللغة الواحدة لغات عديدة ، فما سوى الفصحى يحي أمجادنا الماضية ويشدنا الى تاريخنا العظيم :

رثت ثقافتكم ما بين منصرف عنها وما بين مغرور ومكذوب
فجددوا عهدها لله دركم مهذبا خير تهذيب وتشذيب
أنتم سلالة آباء لهم نعم على الانام وفضل غير محجوب
ومن سوى نبضة الفصحى ونفحتها يحيي مآثر اقحاح أعاريب

وبعد فلقد كان الصارمي رسولا من رسل القومية العربية في المهجر ، أطعمها شرايينه ، وغذاها بنبضات قلبه المفتون بحب العرب ، ومن هنا شدته الى الشاعر القروي آصرة الهدف الواحد والمبدأ الواحد ، كلاهما غذى الشعلة القومية بزيت التضحية المقدس ، وظل مقيما على هواها ، لا يثنيه عن هذا الهوى طمع بمنصب أو جاه ، فعاش قانعا راضيا .

دمشق **عيسى فتوح**

١ ـ ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية ص ٤٨٠ .

على نغم الاطيار يطرب مسمعي ، ... على الارج الفواح من أكؤس الزهر
على الحسن في الغادات يستأسر النهى ... على القلب قد أحيينه ، وهو في الاسر
رددن خطاه القهقرى ، فكأنه ... ـ وهن به يعبثن ـ في ريق العمر
على الروض ـ والازهار ثوب غصونه ـ ... يتيه على الانسام بالحسن والنشر
على العشب في آذار رصع بالندى ... فتحسبه درا ، وما هو بالدر
أغار اللآلي منه حتى تناثرت ... من الغيظ حول السمط، وهي على النحر
على الفجر قد شق الدياجير بالمنى ... تطل على الدنيا بأثوابها الزهر
على الصبح يأتي القلب، والوجه مشرق ... فيفعم فذ الصدر بالفأل والبشر
على الليل صبت لي كواكبه الهوى ... فعربدت نشوانا ، وكأسي بلا خمر
على الموت مهزوما يجر ذيوله ... غداة أتى يجتاح بالجحفل المجر
على العمر ، والسبعون توجت النهى ... أكاليلها بالعلم والشعر والنثر
لئن خانني في الشكر ، مولاي ! مقولي ... فانك يا ربي أجل من الشكر
لقد عثرت بي فوق طرسي يراعتي ... وأعيا بياني وصف ما جاش في صدري
فهيهات أن تكفي من الحبر قطرة ... لشرح هيام دونه سعة البحر

تعلمت ، والاعوام خير معلم ... لمن شاء أن يجني المعارف بالفكر
فلم أر خيرا من كتابي مدرسا ... يلقنني العلم المفيد سوى الدهر
تعلمت غض الطرف منه عن الاذى ... اذا جاءني من حاسد أحمق غر
وعلمني أن يصفح القلب داميا ... عن العرب قومي في التخاذل والخسر
ويبحث عن عذر لهم في نفوسهم ... وان كانت الدنيا تراهم بلا عذر
فقد طعنوا أمجادنا في فؤادها ... وناموا ملايينا عن الاخذ بالثأر
وخلوا حزيرانا اذا جلجل أسمه ... بأذني ، أهوي في المهانة والصغر
وترعد أعضائي كأني يمامة ... قد انتفضت في الغاب من أدمع القطر
وعلمني أن أفتح القلب للورى ... ليطربهم حبي بألحانه البكر
وأجمعهم فيه كما جمع الشذا ... من الروض في قارورة فذة العطر
وعلمني أن ألتقي العرب باسما ... وأقذف اسرائيل بالنظر الشزر
وأرخص روحي في الذياد عن الحمى ... وقد غاله الاعداء بالغدر والمكر
فلا بد أن يجلو عن العرب الاسى ... وتدفن اسرائيل في المهمة القفر
ولا بد من نصر لامة يعرب ... ولا بد قبل المد في البحر من جزر
وان نشد النسر السفوح هنيهة ... فلا بد من عود الى القمم الغر
ليحميها ملك الفضاء من العدى ... اذا جازفوا يوما ، وثاروا على النسر
وان نال منا الدهر في الحرب مرة ... فسوف نري التاريخ ألوية النصر
ترف على ودياننا وجبالنا ... وأجنادنا في الجو والبحر والبر
كما خفقت من قبل رايات خالد ... وعقبة وابن العاص فوق ذرى الفخر

الهي زودني بعطفك ضافيا ... وشد لاخذ الثار من خصمنا أزري
وأسبغ علي الصبر حتى نبيده ... ومد الى ساعات مصرعه عمري
لابصر قومي قد صلته جحيمهم ... وأردوه بالصاروخ والناب والظفر
وخذني الى جنات عدنك بعدها ... لاحيا قرير العين ، منجبر الكسر
وأقضي على اليأس الشديد ظلامه ... وتفتنني بعد الردى طلعة الفجر
فما الموت الا صحوة بعد غفوة ... ترين علينا في دنى العسر واليسر
وما القلب الا ملك ربي وموطني ... أحبهما في السر دوما ، وفي الجهر
وهبت لربي منه شطرا ، وأمتي ... ـ وان أوطنته ـ لم تفز بسوى شطر

محمد العدناني



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

***

زرع وحصاد

ان الذين يزرعون ، ثم يتعهدون زرعهم بالجهد والعمل الدائب ، ولا يغفلون عن حمايته ورعايته ، ودفع كل عادية عنه ، مخافة ان تصيبه بما يلحق به العطب ، ويحيله الى هشيم تذروه الرياح ..

ان الذين يفعلون هذا ..

يدركهم الموسم — من غير شك — وقد امتلأت ايديهم بالمحصول الوافر والخير العميم ، وبذلك يجدون العوض عن كل ما بذلوه من جهد ، وهم يتعهدون ذلك الزرع ، ويقفون عليه كل حيلة وكل وسيلة ، من اجل حمايته ورعايته .

ومثل هؤلاء ..

الطالب في معهد العلم ، الذي ينمي غراس الطموح في نفسه بالسهر الدائب ، والاقبال على تقصي شوارد المعرفة ، في كل متجه يجد اليه السبيل ، ثم تكون عاقبة جهده النجاح ، وبذلك تكون تلك الغراس قد زكت ونمت ، وانتجت له خير الثمار .

ومثل هؤلاء ..

التاجر والصانع والعامل ، الذين يزرعون نبتة الامل في صعيد الحاجة ، ويقبلون على رعايتها بحسن التدبير ، والنظرة الصائبة ، واغتنام كل فرصة سانحة تلوح بين ايديهم ، ثم تكون عاقبة جهدهم النماء والثراء ، حين اينعت لهم تلك النبتة ، وحصلوا منها على ما كانوا يرجون ويأملون .

ومثل هؤلاء كذلك ..

الامة من الامم بين شعوب الارض — ولست اقصد امة بعينها او شعبا بذاته — وذلك حين تكون هذه الامة قد سلبت حريتها ، وغلبت على أمرها ، واحتل العدو بقواته الغازية جانبا من مرافقها ، ومصادر الثروة فيها ، فجعلت هذه الامة مطلب الحرية هدفا تتجه اليه الانظار من كافة ابنائها ، ونبتة تغرسها في مهاد من الامل ، ليغذوها هؤلاء الابناء بفيض من دماء القلوب .

وهذه الامة — كائنة من تكون — حين تفعل ذلك ، ثم تدعمه بالصبر والثبات والجلد ، ويحتمل ابناؤها التضحيات ، مهما عظمت هذه التضحيات واشتد تلاحقها ، ومهما توالت — وباصرار — دونما انقطاع ، ولم يجد الخذلان واختلاف الكلمة سبيلا الى صفوف هؤلاء الابناء ، ليصدعها ويوهنها ، ثم ليمزقهم — بعد ذلك — شر ممزق .

هذه الامة حين تفعل ذلك ..

يصل ابناؤها — دون شك — الى الهدف الذي يبتغون ، وتزكو عندهم نبتة الحرية غضة ندية يانعة ، ليقطفوا منها ثمار النصر والعزة والكرامة .

صورتان .. نراهما كثيرا

هناك صورتان ، تطالعك الصورة الاولى منهما في مكتب ، جلس على بابه من يذودك عنه ، ويحبسك الى ان يستأذن لك . واذا ما فتح الباب بين يديك واجهك فيه انسان خلف منضدته ، يرد عليك التحية غمغمة مبهمة او لا يردها اطلاقا ، ويطل عليك بنصف اغماضة من عينيه ، وقد صعر خده ، وشمخ بأنفه ، وعقد ما بين حاجبيه . ثم يصرخ بما توشك أن تظنه شتيمة ، ويقول بصوت يعبر بوضوح عن سأم ونزق ونفاد صبر .. وهو يردد :

— ماذا تريد .. ماذا تريد ؟!

وحيال هذا اللقاء غير الكريم لا ادري كيف يكون حالك ؟!

فانت — من غير شك وفي افضل احتمال — واحد من اثنين : على وجه التقدير :

رجل قهرته الحاجة وغلبه الاضطرار ، على ان يلتمس ما يبل رمقه ، في اي وعاء قدم اليه ، وهو لا يبالي في سبيل ذلك ان يأخذ بحكمة الانجيل القائلة : « من ضربك على خدك الايمن ادر له الايسر .. » !!

او رجل تعز عليه نفسه ان تهون ، ويمنعه خلقه ان يتحلى بغير الفضيلة ، فاذا هو يعود من حيث أتى ،

ولسان حاله يردد : « ان التفريط بالمطالب والغايات ، خير بكثير من التفريط بالكرامات .. » !!

تلك هي الصورة الاولى ..

واما الصورة الثانية فانها صورة تختلف عن تلك ، وفيها يتبدل المضمون والمحتوى ، حيث يطالعك مكتب فتح بابه دون ان يذودك عنه أحد ، وجلس فيه انسان خلف منضدته ، يرد عليه التحية بأحسن منها ، وينطلق وجهه بابتسامة كلها بشر وايناس ، وهو يسألك عن حاجتك بالصوت الخفيض ، والتعبير المهذب ، والنبرات التي تملأ نفسك بالامل والطمأنينة والارتياح .

وحيال هذا اللقاء الكريم ، لا بد لك – من غير شك – أن تشعر بانك حيال صديق ، يدلي اليك بنصحه ، ويدلك على اقوم السبل ، التي تنتهي بك الى قضاء حاجتك اذا لم يكن قضاؤها من عنده !

وحين تقارن بين الصورتين ..

لا بد ان تتوارد الى ذهنك اسئلة شتى : وربما كان اكثر هذه الاسئلة الحاحا ، واقربها الى نفسك متناولا ، ذلك السؤال الذي يقول :

« لماذا لم يجد صاحب الصورة الاولى ذلك الذي يمسك بيده من غير لين ، ليلفت انتباهه الى ما يصنعه صاحب الصورة الثانية ؟! » .

ولو كان هناك من يرد الجواب على تساؤلك لقال لك بصريح العبارة :

« هناك امور يعرفها الناس بداهة ، وقد عرفها صاحب الصورة الثانية ففعل ما فعله بوحي مما عرف ، وبقي بعد ذلك ان يحاسب أولئك الذين يتجاهلون هذه البديهيات على ما فعلوه !! » .

وعند هذا المدى ..

لعلك تقول معي : « بقي بعد ذلك ان يحدث هذا .. !! » .

فمتى يحدث ؟! وهل هو يحدث حقا .. ؟!

انسان بكامل معناه

حينما اقول لولدي الصغير : « احذر يا بني ان يجري على لسانك كلام لا يرضى عنه الآخرون الذين هم اكبر منك سنا ، لان ذلك يجرح مشاعرهم ، ويجلب الى نفوسهم الكدر ، ويحملهم على ان ينفروا منك .. » !

عندما اقول لولدي ذلك ..

تكون غايتي التي اهدف اليها ، هي ان اصون لسانه عن كل شيء من القول ، وان ابعده عن كل قبيح من اللفظ ، وان اجنبه التعرف الى كل منكر من النعوت والصفات .

وان هذا الذي اقوله لولدي ، اقوله الى كل ولد من ابناء امتي حين اجد من ينقله اليه من اهله ، الذين يحرصون على سلامة نشأته ، مثل حرصهم على كل ما يجلب اليه الخير .

ويدفعني الى ذلك ويجعلني حريصا عليه :

ان الانسان حين يكون لسانه نظيفا من كل لفظ قبيح ، تكون نفسه نظيفة كذلك من كل سيء مكروه ، ولذا فهي تمتلىء بمشاعر الحب والخير والعطف والمؤاساة .

وعندها فقط يكون انسانا ، وانسانا بكل ما في الكلمة من معنى .

يا هؤلاء .. اسمعوا !

حين يعتدي عليك معتد ..

ولا يكون منك الا ان تقف امام عدوانه وقفة المستسلم ، او وقفة من هو في حكم المستسلم ، فاذا ما فرغ من عدوانه عليك ، اطلقت عقيرتك بالصراخ متوجعا متفجعا ، ثم كشفت عما احدثه فيك من جراحات ، ومضيت الى جيرانك ، تعرض عليهم ذلك ، وانت تندد بعدوان ذلك المعتدي ، وتنحي امامهم باللائمة عليه ، وتوجه اليه سائر ما في كلام الناس من عبارات الانتقاص والتجريح والشتيمة .

لو حدث منك هذا ..

ورضيت لنفسك ان تفعله ، وقصرت جهدك عند مداه ، وقعدت بك الهمة فلم تجاوزه الى ما هو ابعد منه ، ثم تكرر منك هذا مرات ومرات ، وعلى مدى سنين متعاقبات لا تبدل من نهجك فيه ولا تغير ، ففي اية منزلة يضعك جيرانك يا ترى ؟!

انهم سوف يضعونك في منزلة لا تسرك من غير شك ، وسوف يقولون فيك ما لا يرضيك ، يقولونه في غيبتك أول الامر ، ثم يجاهرون به على ملأ منك ، وربما تجرأ عليك متجرىء منهم ليقول لك بملء فيه :

« ويحك يا هذا .. لقد جربت هذه الوسيلة مرات ومرات ، ووقفت امام هذه الابواب تقرعها ، لتعرض لمن خلفها جراحاتك الداميات اعواما بعد اعوام ، فماذا جنيت من ذلك ؟ وهل عادت عليك بطائل ؟ لماذا لم تسلك سبيلا غير هذا السبيل ؟ هل انعدمت لديك الاسباب ؟ افلا بحثت عن وسيلة غير هذه الوسيلة ؟ أولم تقرأ الآية الكريمة : ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم به ؟ »

يا أخي القاريء :

كذلك يكون حالك وحالي وحال كل انسان ان سو فعل هذا ووقف عنده ، ولم يجاوزه الى ما هو ابعد منه حين ينزل به عدوان المعتدين . وان هذا ليعرفه الناس جميعا ، ويعرفونه منذ سلكوا طريقهم في الحياة ، وحسبك ان المنطق المسلم به فيما بينهم ، يقوم على مدلول المثل القائل : « اذا لم تكن ذئبا اكلتك الذئاب » .

ومن غرائب الامور ..

ان الدول العربية جميعا وهي تؤيد منطق الشكوى،

في استقبال العام الجديد

زكي قنصل

هل فيك للباكي مسره ... ام انت للآمال عثره

انا رضينا بالقليل اذا ... اقتضاك القوم كثره

ابسط خوانك للضيوف ... وخل للعربي كسره

يا عام قلب الحق مكسور ... فهل قررت جبره

والعدل مقصوص الجناح ... فهل يجيز الشرع نحره

وكرامة الانسان سفسطة ... وشرعته معره

يا عام بين جوانحي ... جرح ، وفي عيني جمره

شاه الوجود فلا ارى ... في روضة الآمال زهره

والشكوى المتعاقبة مرات ومرات ، وأعواما بعد اعوام ، والشكوى التي لم تعد بطائل قط ولو مرة واحدة ، والشكوى التي لا تقف في وجه العدوان لترده او تصده..

ان هذه الدول جميعا لم تعرف باعدادها الكبيرة ذاك الذي عرفه الناس منذ سلكوا طريقهم في الحياة .

فهل تجد هذه الدول يوما من يتجرأ عليها ، ويصرخ في وجه حشودها الزاخرة بصوت يصل الى اسماعهم ، قائلا بملء فيه : « يا هؤلاء .. اسلكوا سبيلا غير هذا السبيل ، يا هؤلاء .. ابحثوا عن وسيلة غير هذه الوسيلة ، يا هؤلاء .. اسمعوا قول الله !! .. » .

ترى .. هل تجد هذه الدول يوما ذلك المتجرىء وتستمع اليه ؟!

سؤال .. بلا جواب

اننا نستقبل رمضان من كل عام ، ثم تظلنا اخريات الثلث الثاني من ايامه ، وعندها تظلنا ذكرى معركة حاسمة ، انتصرنا فيها ذات يوم وكان ذلك النصر مؤزرا باهرا له ما بعده .

وانه لمن المؤلم المرير ان توافينا هذه الذكرى المجيدة في رمضان عامنا الذي نطويه ، ونحن في مثل ما يسود عالمنا العربي اليوم من فرقة وتمزق وشتات ، واستخذاء للعدو المتغطرس ، يمرغ جبين كل عربي بالصغار والهوان والمذلة ، واستجداء يندى له الحياء من مختلف دول الارض ، لكي تساعدنا في اجلاء العدو الغاصب عن اراضينا !!

اجل ، انه مرير مؤلم حقا ان توافينا هذه الذكرى المجيدة ، التي انتصرنا فيها ذلك النصر الذي وصفت ، حين كنا في قلة من عددنا ، تتضاءل كثيرا حيال العديد الوافر من اعدائنا ، وحين كنا نقاتل بأسلحة محدودة معدودة ، امام الذي واجهنا به ذلك العدو من شوكة السلاح .

وكأن الذي نصرنا على عدونا في ذلك اليوم ـ على ما يبدو ـ هو ايماننا بصدق الدعوة التي كنا ندعو لها ، وايماننا كذلك بصواب الموقف الذي كنا نقفه ، وقناعتنا اخيرا باننا على حق في حربنا تلك !!

وان آية ذلك ما نحرزه اليوم من خذلان في كل معركة نخوضها مع العدو ، رغم انه في عدد هزيل ضئيل الى جانب عددنا الكبير الهائل ، ورغم انه يستجدي ثمن السلاح من اموال الصدقات ، ونحن نملك من الثروات الهائلة ما تطمع به دول الارض في الشرق والغرب ، ورغم انه في رقعة من الارض صغيرة محدودة ، حيال ما يمتد من اقطارنا الواسعة في قارتي آسيا وافريقيا .

فما هو السر في ذلك يا ترى ؟!

أجل ما هو السر الذي يجعل عدونا ينتصر علينا ، ونحن على ما نحن عليه من وفرة وكثرة وغنى ، وهو على ما وصفته من القلة والخصاصة وضيق المدى ؟!

انه سؤال يتبادر الى الذهن ..

ولعله يتبادر الى اذهاننا ـ على وجه التحديد ـ حين نعقد مثل هذه المقارنة ، ونحن نستقبل ذكرى معركة بدر الخالدة ، التي تظلنا ذكراها في رمضان من كل عام ، وان مثل هذا السؤال يحار عنده الجواب !!

بل انها لتضيق امامنا وجوه التساؤل ..

فهل نقول ان السلاح الذي انتصرنا به في يوم (معركة بدر) لم يعد في أيدينا ؟ هل نقول اننا أضعنا السبيل للوصول اليه ، وفقدنا الاسباب جميعها للحصول عليه ؟!

هل نزعم ان عدونا سلب منا ذلك السلاح ، ثم اصبح وقفا عليه حين ظهر به علينا ؟!

انه سؤال حائر كما ترى ..

ومن أجل ذلك فلا عجب ان يحار عنده الجواب !!

عمان ـ الاردن ... محمد سليم رشدان

لكأنني في مهرجان الحب والايمان صخره

ماذا اقول وبسمتي … صارت على شفتي زفره
ماذا اقول وليس في … وتري سوي اصداء نبره
ران الرجاء على الشعوب … ونحن في يأس وحسره
جئنا نرش لك الطريق … فاين من عينيك نظره
جئنا نقول لك اسقنا … مما سقيت الناس قطره
جئنا نطالب ان تكفكف … من عيون العرب عبره
دجت الطريق فان نقم … من حفرة نسقط بحفره
واذا نجونا من هزبر … كاسر برزت هزبره
لا نور في ليل العروبة … هل اضاع الليل فجره
الامر فوضى بيننا … لم نتفق في الرأي خطره
يا عام لا تعجب اذا … طلقت غانية .....
لم تبق لي آلام قومي … للهوى ..... سهره
قالوا المصائب ان توا … لت تجمع الاخصام أسره
وتزيد اسباب التعاون … بينهم عملا وفكره
خاب الرجاء فلم تزل … نار الضغائن مستعره
نمشي ولكن للوراء … قبائلا لا مستقره
متكاتفين على الاذى … متعاونين على المضره
باسم اليمين او اليسار … تقوم فينا الف ثوره

يا امة هانت وكانت … في جبين الدهر غره
او بعد ان كنا الشبول … تصيدنا في الغاب هره
اين الرقاب المشرئبة … والرؤوس المشمخره
غضت.. وما اقسى الهوان … على الكريم وما امره
سطع الهدى منا ولكن … قص الخذلان عمره
كدنا وما زلنا نكيد … لبعضنا سرا وجهره
وتباينت سبل النضال … فحدد العدوان ظفره
ولو انها اتحدت لمات … ولم يجد في الصف ثغره
نصفي المودة للغريب … وللقريب نبيح ظهره
ونجود بالآلاف لكن … حيث لا تجدي المبره
لولا الفدائيون لم … نبرح على الافواه سخره
لولاهم لم يفتح التا … ريخ للعربي صدره
لولاهم لا زارة تدوي … على اصداء زأره
تاهت على الايوان خيمتهم … وطاولت المجره
من ليلها طلع الصباح … وادرك الموتور ثأره
واخضوضر القفر الجديب … كأنما الفردوس قفره
لا تبر يعدل تربها … فليرخص الكناز تبره

يا عام لا تثقل على … المنكوب او تستحل قهره
مهد ابن مريم للفجور … فهل تعيد اليه طهره
لم ينحت الاسلام من … حرماته مثقال ذره
وغزاه اولاد الحرام … فدنسوه الف مره

يا عام ابكانا قدومك … فالتمس للدمع عذره
لو لم تكن عربا لغنينا … وطبلنا مسره

بوانس ايرس ـ الارجنتين … زكي قنصل



حسان الكاتب

الشاعر المحاسني في نظر معاصريه

بقلم حسان الكاتب

* * *

ثمة مشاعر قوية تربط الاديب بأخوانه .. ولا عجب فهو ابن البيئة التي يعيش فيها اقرانه واخوانه .. ممن درجوا في نفس الجو . . الذي مر ، او يمر به ... فهي معاناة كاملة تعين الاديب الذي يحمل رسالة الادب .

لقد توطدت صلتي بالاديب الشاعر الراحل الدكتور زكي المحاسني من خلال رسالته التي وجهها لي على اثر اهدائه « الموسوعة الموجزة » والتي نفحتني قوة وعزما وتصميما .. حيث قال فيها : « لطالما كنت اتوق الى ظهور معلمة بين ايدي المواطنين بسورية من صنع علمائهم وادبائهم وحماة اللغة العربية ، حتى طلعت علينا (الموسوعة الموجزة) التي انشأها فكرك وعلمك ووعيك وغيرتك على الثقافة العربية المثلى .

والمعلمة هي الام الكبرى التي تضم هؤلاء الانجال ، وكنت وانا مدير للموسوعة العربية في وزارة الثقافة بدمشق ، اعلل النفس بأن موسوعتنا المنشودة ستظهر عما قريب ولو بغيري ..

فالى الامام يا عزيزي ويا صديقي القديم في عملك الحميد . ولكم اطرب حين تعاودني الذكرى فأرى تلاميذي اصبحوا اساتذة مثلي .. » وكان تاريخ هذه الرسالة ٣ - ١ - ١٩٧٢ . وكنت قبل ذلك معجبا بالمحاسني الشاعر والاديب من خلال مؤلفاته وأشعاره التي كان ينشرها في المجلات وخاصة في مجلة «الاديب» .

لقد كنت احس وألمس خلال مراسلاته النثرية والشعرية لباقة وذوقا ودماثة اخلاق ومحبة لاخوانه الادباء .

وكان المحاسني يبدع في النثر والشعر وفي الدراسات الادبية فكانت قصائده التي ظهرت بين حين وآخر .. تتميز بالطابع الوصفي والوجداني وفي جزالة عرف بها .

وكان له باع في الملحمة وراي خاص بها فهو يقول : « عندي ان كل شعر طال او قصر ، وقد وصفت فيه المعارك ، وسردت فيه اخبار البطولة ورويت فيه ملاحمات الجلاد والجهاد ، هو من شعر الملاحم » .. كما قال ايضا « اني اعد الشعر الجاهلي الذي قاله اصحابه في ايام العرب (ملحمة كبرى) ولكنها مقطعة الاوصال وقد اشترك في وضعها نفر لا يحصى عددهم من الشعراء ، وكفى بحرب (داحس والغبراء) ان تكون ملحمة كبرى اذ دامت اربعين عاما بين عبس وذبيان » .

وضرب المحاسني مثلا من الشعر الاندلسي حين قال : « لقد حاول الاندلسيون صنع الملحمة على طريقة الشاعر هوميروس صاحب الالياذة فكانت تجاربهم هذه الاولى في شعر الملحمة تحتوي تاريخ العرب في الاندلس وحوادث ملوكهم وتنازعهم مع الاسبان ، وقد سجلوا فيها فتوحهم للبلدان الاسبانية ، والغريب ان بعض هذه القصائد المطولة كان يبدأ بالكلام على خلق العالم . ثم يتدرج في الخليقة حتى يصل الى العصر الاندلسي الذي فيه الملك المبجل ، اذ تنتهي القصيدة الى عصر الشاعر الذي نظمها ، ولم يسمها احد منهم ملحمة » وانما كانت عندهم اراجيز مطولة ، وبذلك ركبوا الارجوزة فخلصتهم من القصيدة ذات الروي الواحد ، اذ كانت اراجيزهم الملحمية كل بيت بقافية تخالف الثانية » .. ولقد كان المحاسني الشاعر يتمتع بصفات الباحث المدقق .. وفي ذلك قال الدكتور عبد الوهاب عزام في تقديمه لرسالته « شعر الحرب » : « وقد عكف فيها عكوف الباحث المخلص المتثبت ، الذي لا يقنع بما دون الغاية ، ولا يسكن الى الدعة ، ولا ينوء به النصب والداب » .

ويشير الاستاذ محمد عبد الغني حسن الى هذه النزعة بقوله : « وحين يسلك الدكتور زكي المحاسني المسالك الوعرة في التأليف ، يذهب مذهب الاعتدال والنزاهة في الاحكام ، فلا يجور او يبتسر الاحكام ، او يتابع في الآراء على غير تحقيق ، ولكنه يقرأ ، ويحقق ويوازن ، ويزن ، ويحكم بعد اقتناع واعتقاد » .

وظل الادب وكتابة المقال ونظم الشعر وتأليف الكتب ومتابعة الحركات الفكرية شغله الشاغل .

وقد كان النبوغ متأصلا في نفس اديبنا ويقول في ذلك الاستاذ حسني كنعان (١) « عرفت هذا النيزك الادبي اللامع طالبا بمدرسة تطبيقات عنبر وتجهيزه ـ منذ اوائل عام ١٩٢١ وكان في المدرستين من اوفى وانبل وانبغ الطلاب ، صان لسانه عن الاذى ولم يبسط لهم يدا لسوء ولذا احبه اصدقاؤه واساتذته ، وكنت اسمع منه دائما جملة يرددها (سأنبغ يوما ما) ساق هذه الكلمة على لسانه ثقته بنفسه ورجاؤه بمستقبله ، وكان اصدقاؤه الخلص واساتذته كالشيخ محمد الداوودي والاستاذ سليم الجندي والشيخ عبد القادر المبارك يسددون خطاه ، وينيرون له سبيل الوصول الى غايته السامقة ، فولدت هذه الحوافز بنفسه الهمة والنشاط ، ولذا كان دؤوبا على المطالعة والكتابة شعرا ونثرا .. وفي جولة تفتيشية اجراها وزير المعارف يومئذ العلامة محمد كرد علي على المدارس عام ١٩٣٠ قدم له الاستاذ سليم الجندي طرائف من عمل طلاب البكالوريا المجددين فراى فيها ما ادهشه ، وتوسم خيرا بهذه البراعم المتفتحة وتلمس آثار النبوغ فأزمع على اقامة حفلة لهم بالمجمع وقتئذ تقديرا ووفاء ، منهم فقيدنا الدكتور زكي المحاسني والفقيد الاستاذ الشاعر انور العطار والدكتور جميل سلطان والاستاذ عبد الكريم الكرمي الملقب (بأبي سلمى) وقد هيأ العلامة محمد كرد علي الحفلة ودعا لها نخبة من اعيان دمشق وادبائها ، ثم جمعهم امامه وقدمهم الى الجمهور واحدا اثر الاخر ، وذكر كلمة موجزة عن مآثر كل منهم وتاريخ اسرهم ، وطلب من كل منهم نموذجا صغيرا عن شعره فكان لهذه اللفتة الكريمة النشاط والتشجيع بالمثابرة على العمل » .

ولقد حدثنا الاستاذ سامي الكيالي (٢) عن بدايات الدكتور المحاسني فقال : « وقد عرفته منذ اصداري مجلة (الحديث) عام ١٩٢٧ .. فما هي سنوات حتى اخذ يوافيها بشعره ومقالاته ، واذا هو صورة حية من الاديب النابغ الذي جعل الادب اجمل هواياته بل جعله شغله الشاغل ، فلا تمر دقيقة من وقته دون الافادة من كتب الادب ومما يكتبه اعلام الفكر ، يتابع الحركة الادبية المتطورة باهتمام وقد عاش زهرة شبابه ومطلع كهولته يدرس ويدرس وما يزال يدرس ويؤلف ، واصبحنا لا نفتح مجلة الا ونقرأ له مقالا او قصيدة هما عصارة الفكر الحر والموهبة الاصيلة ، وصورة مشرقة من نفسه المنطوية على صور شتى من حياتنا الفكرية يغرف منها ويرسلها نفحات عبقة .. »

وقد اشار المحاسني الشاعر الى صورة من مراحل حياته الادبية التي مر بها هو وانداده في كتابه عن احمد امين فقال : « .. فكنا على الحداثة ومستهل الشباب نتصل بأدباء بلادنا وشعرائها الغابرين والمعاصرين ، ثم نتلفت الى حركات التجديد والتطور التي كانت تتوالى على ضفاف النيل عنيفة صاخبة او هادئة متزنة ، وكان من دأب صحافتنا العربية السورية ان تنقل للقراء والشباب المثقف والمتعلم صور هذه الحركات وصدى ما تضمنت من افكار وآراء . فكان اسم الدكتور طه حسين يدوي في المسامع والمحافل لما اثارت بحوثه الثورية في الادب ، وفي الحياة السياسية والقومية ، ولم تمض الاعوام طوالا حتى طلع اسم احمد امين العالم العربي والاسلامي بجديد مرتقب في دراسة الحياة العقلية خلال العصور الاولى ، فشاقني تتبعي لهذين العلمين الخفاقين ان اقف على نتائج كل منهم ، وانا في بلدي وجامعتي اتدارس مع اترابي مقالات كانت تنشر لطه حسين واحمد امين فتبين فيها ملامحهما وشخصية كل منهما بمقدار ما اوتينا من وعي وثقافة » .

انه يذكر هذه الفترة من ايام الحداثة والشباب وما تركته مصر وما تركه عمالقة ادبائها من اثر في نفسه وفي نفس انداده .

ومن قصيدة للمحاسني يرحمه الله في مهرجان ابي تمام في دمشق :

لام الاحبة عذال بما هاموا ... فما شفاهم من التبريح تلوام
ضلوا السبيل الى وجد فنفصهم ... وطوحتهم به شكوى وآلام
دى الهوى بغية الفانين انهم ... راموا الجسوم فما عزوا ولا داموا
واطلبه في الروح صفوا باقيا، فله ... من العروبة عشاق وهيام
حب لعمرك ما هانت نوازعه ... ولا رمته تباريح واوهام

وقال الشاعر (٣) في قصيدة اخرى بعنوان « دنيانا » :

سعدت لاني جئت في هذه الدنى ... كأني عرفت العمر من قبل أن احيا
ألم أك في طي التراب غذاءه ... فاصلي في نسل تقادم في التهلكى
سلكت سبيلي في الهواء مرفرفا ... وفي عاصفة منه تعسف واستعلى
وفي الماء في أوج الفيوم وربما ... بمستنقع أوردت كدرته الحرى
فما انعكس الخيام في برح خاطري ... يوسوس في فكري بحيرته النشوى
ولا كان لي عند المعري وسيلة ... لالبس فيها الزهد لبسته الكبرى

وفيما يلي يحدثنا الدكتور بديع حقي (٤) عن المربي الدكتور زكي المحاسني : « كنت قد استشرفت السادسة عشرة من العمر ، حين عرفته ، لاول مرة ، معلما لي في الصف الثامن من مكتب تجهيز عنبر .

وامتدت نظرتي ، شعاعا مستطلعا حرمة الاشعة المتشوقة الشاخصة من عيون رفاقي ، فصافحت ، اما دخل حجرة الدراسة قامته المشيقة ، المنتصبة وكان ربعه ، الى الطول ورأيت اليه يمضي في حيوية الشباب وعنفوانه ، الى كرسي قابع خلف المنضدة .

---

١ ـ عن مجلة « التمدن الاسلامي » الاجزاء ٥ ـ ١٢ من المجلد ٣٩ لعام ١٩٧٢ .

٢ ـ الادب المعاصر في سورية (١٨٥٠ ـ ١٩٥٠) للاستاذ سامي الكيالي .

٣ ـ فنون الادب المعاصر في سورية (١٨٧٠ ـ ١٩٧٠) للدكتور عمر الدقاق .

٤ ـ مجلة الاديب ـ عدد يناير ١٩٧٣ .

الغرام الزئبقي

فيم السؤال عن الحنان المورق
لا تقلقي ، سلم الهوى ، لا تقلقي
أنسيت ما فعل الغرور بخافق
لولا تلهف مهجتي ، لم يخفق
بعض العتاب ، اذا عتبت ، ظلامة
أنت التي عبثت بعهد موثق
منيت عمري ان أراك وحيدة
فرأيت لي عمر الغرام الزئبقي
فتشوهت صور النساء بخاطري
ووثقت أن حبيبتي لم تخلق

فوزي عطوي

وكنا وقوفا فأشار بيده اشارة تحملنا على الجلوس، وتبادلنا همسات مقتضبة يسيرة : ان معلم اللغة العربية هذا ، هو فيما يبدو ، معلم رقيق الحاشية لطيف ، بذلك تشي قسمات وجهه الطيب السمح .. » .

ويصف الدكتور صفاء خلوصي (٥) اديبنا الراحل وهو في حالة المرض فيقول : « ما اكثر رسائلك الي وانت مريض ، مع ذلك فما كنت تشتكي ولا تبعث بأنة ولا آهة، حتى خيل الي أن ما ينسب اليك من مرض وعكة عابرة بولغ فيها ، الى أن جاءني النعي » .

وكان المحاسني الذي فقدته دمشق والعالم العربي ينظم الشعر حتى الساعات الاخيرة من عمره ومن تتبع هذا الشعر وجده متفاوت الالوان غزير الانتاج صادق الوجدان ، ومن عجب ان هذا الشاعر الموهوب كان على انصرافه للشعر متعدد الجوانب في ادبه منبسط الشهرة ذائع الصيت .

ولقد جاء نعي الفقيد الغالي فاجعة ألمت باخوانه الذين يجلونه (٦) ويكرمونه ويحبونه .. وهذه الابيات للاستاذ رشاد علي أديب في رثائه :

قدر يبعث الاسى والشجونا   حين يزجي الى النفوس المنونا
سنة الله منذ خلق البرايا   ودبيب الحياة في العالمينا
انها حكمة يحاربها النا   س ويخشون أمرها هائبينا
ويعانون في المصاب اكتئابا   ويذوبون حرقة جازعينا
لا مرد لحكم ربي تعالى   انه الله اعدل الحاكمينا
فاذا شاء ان ينفذ امرا   وقضاء يقول كن فيكونا
كل من في السماء والارض من خل   ق لابرام حكمه خاضعونا
فليقل كل من يصاب برزء   اننا في بلائنا طائعونا
حسبنا الله ربنا واليه   كل حين وساعة راجعونا
اننا صابرون والله يجزى   بثواب من فضله الصابرينا (٧)

ولا بد لي اخيرا ان أتحدث عن الدكتور المحاسني عن قرب فلقد زرته في داره بدمشق قبل وفاته بشهرين وكنت احببته من خلال دراساتي لادبه الغزير الجم في الصحف والاذاعة والمؤلفات التي زادت على العشرين ، فاستقبلني استقبالا حافلا مع قرينته السيدة وداد سكاكيني الاديبة المثالية الفاضلة ، رغم ان ذلك اللقاء كان اول لقاء ... وآخر لقاء ايضا .. ودامت زيارتي له اكثر من ساعة حدثني فيها الكثير عن الادب .. وعن اخوانه في الادب ... وكان خلال حديثه مركز المعلومات دقيق العبارة عميق الفكرة حتى انه حدثني عن عبد الحميد الكاتب كثيرا وكان خلال حديثه كأنه يقرأ بكتاب مفتوح امامه .. قوي النبرة .. فصيح العبارة والبيان .. واذكر انه قال لي « وما من ريب في ان عبد الحميد أفضل كاتب ظهر في العصر الاموي فقد كان بليغا وقد ضربت ببلاغته الامثال حتى قيل فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد .. الى ان قال : ويقول اليعقوبي أن عبد الحميد تخلف بمصر واستتر حتى دل عليه صالح بن علي وزاد غيره انه لما انهزم اختبأ في كنيسة في بوصير من أرض مصر ... وقال آخرون انه استخفى بالجزيرة عند عبد الله بن المقفع فغمز عليه ، وكان صديقه وفاجأهما الطالب وهما في البيت ، فقال الذين دخلوا أيكما عبد الحميد ؟ فقال كل واحد منهما ، أنا خوفا على صاحبه وأوشك الجند ان يقتلوا ابن المقفع لو ان صاح بهم عبد الحميد قائلا : ترفقوا بنا ، فأن لكل منا علامات، فوكلوا بعضكم وليمض البعض الاخر الى من وجهكم فيذكر له تلك العلامات ، ففعلوا واخذوا عبد الحميد » .

واذا اردت ان اقول كلمتي الاخيرة في هذا المجال .. فلا بد أن اقول كلمة الحق .. كما عرفت الدكتور زكي المحاسني .. فهو أديب اصيل وباحث يدرس الموضوع من جميع جوانبه .. وشاعر مرهف الحس .. كبير القلب .. صافي النفس .. وبكلمة .. فالشاعر المحاسني موسوعي الثقافة .. وقد كتب عنه الكثير .. وسيكتب عنه الكثير .. ولن يوفى حقه ، ومتى ظهر ديوان المحاسني مطبوعا سيعجب القراء لما أوتي هذا الشاعر المطبوع من فيض القريحة وانطلاق الشعور والخيال .

دمشق   **حسان الكاتب**

---

٥ ـ مجلة الاديب ـ عدد يونيو ١٩٧٢ .

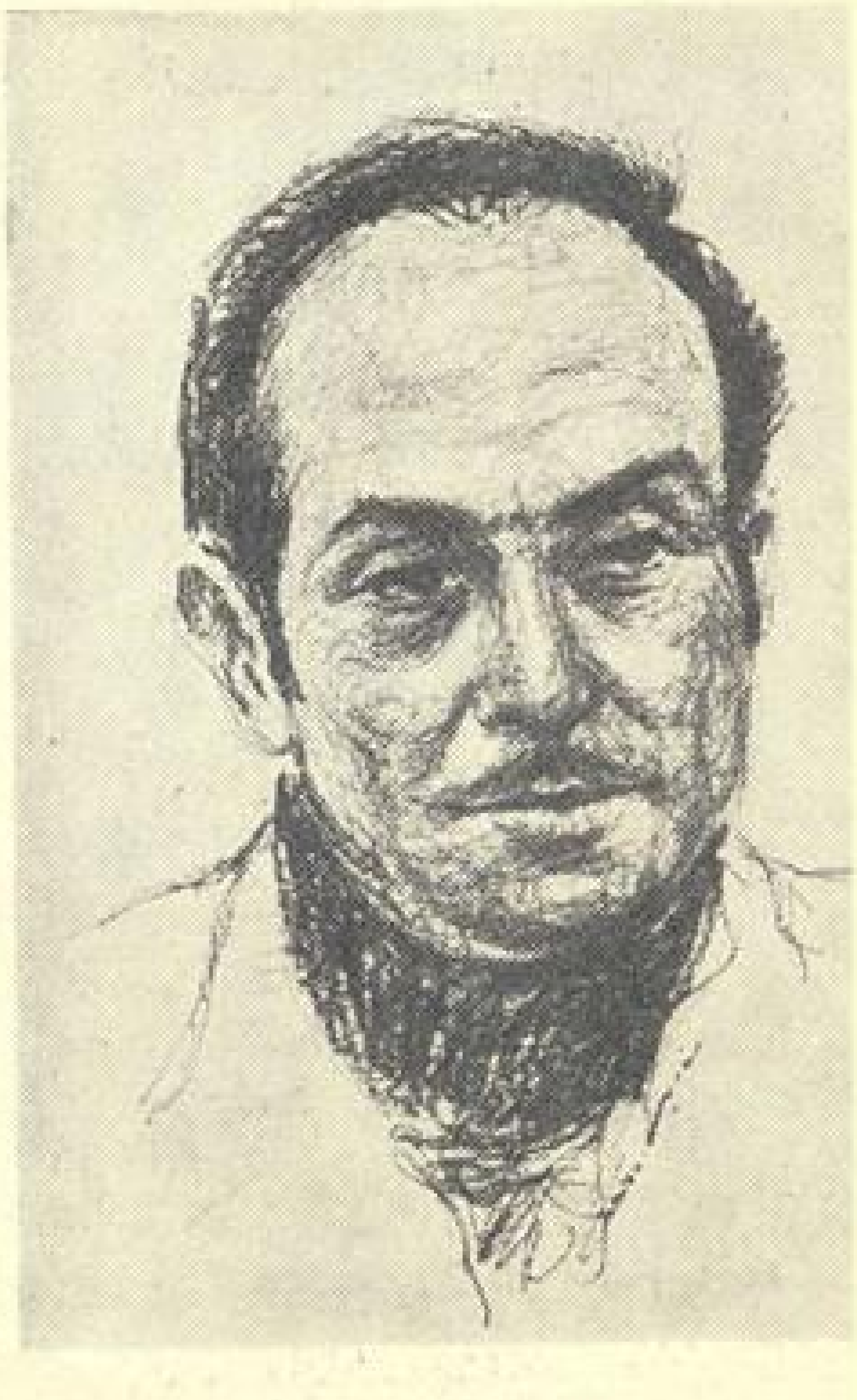
٦ ـ لمعرفة تفاصيل ترجمة المحاسني وتآليفه يرجى الرجوع الى مقالنا في العدد الصادر في مايو ١٩٧٢ بعنوان « الدكتور زكي المحاسني فقيد الادب » في مجلة الاديب

٧ ـ لنحصول على الرثاء الكامل يرجى الرجوع الى العدد الصادر في يوليو ١٩٧٢ من مجلة الاديب .

شتاء الظهيرة

لؤي فؤاد الاسعد

حلب ـ سورية



فكل الذين يمرون من واجهات الصباح المطير
يمرون لا يعرفون عن الفرحة الشاحبه
سوى انها رفرفت لحظة
واسقطها الوعر حين احس بها
لمعان الجناح الكسير

●

تمرين .. ماذا تقول الرياح
اذا ما مررت بعز شتاء الظهيره
ووجهك يقبل بين الورق
حروفا على غير موعدها في السنين
ووجهك شهر ، وعام ووجهك
في القلب خلف الفرق
وروحي تبعثر حتى ارتياح الاماني
اذا شردتها ضواحي الارق
وصورتنا لاغتراب الرياح تقول
لماذا تقول الكلام الدخيل
لينزف فينا الحنين
وتمتد في صحونا المقبره

رجعت اليك تمرين قال شتاء الظهيره
وتكبر فينا الشواهد تعلو
فكل الزهور هنا رفعت رأسها
في عتاب حزين
تغير فيهـا الحبور
على مهل صار قتيلا بلا مقبره
وها نحن فيه عراة
يطول بنا العري حتى انقضاء الشتاء
نصير عـراء
وتقتل في روحنا الاغصن الفارعه
وندخل سر البلاد الغريبة
لا تعرف في غربتنا سوى الغرباء
ووجهك ماذا
ووجهك ، حقل ، وزهر ، ويوم
ولحظة صمت بباب
تضايقها الغربة البارده
يدق على بابها بالهمس وقع الرباب
ويشحب فيها الربيع ، تمتد فيها الصحارى
وتغرقنا الهنهنات الاخيره

وانت تمرين .. أنت
يقول شتاء الظهيرة جئت ولم ترجعي

قصة

ابتسامة

بقلم عبد العزيز الشناوي

انتهى المطاف بقرص الشمس الى الافق الغربي ... اسرع الخطو .. افكاره تتخبط بين جدران راسه .. ثائرة .. مضطربة .. لا يدري اين تقوده قدماه ؟ ... سار زائغ البصر .. ساهما .. لا يأبه بسؤال احد .. الضجيج صدى لما في اعماقه .. اتخذ قرارا .. لن يتراجع .

اقبل القطار .. وحش رهيب .. قاتل .. يتحفز للانقضاض .. اغمض عينيه .. هممت شفتاه .. يتقدم نحوه .. لن يبالي بنباحه .. سيسلم له رقبته وجسده .. طائعا مختارا .. ليبتر آلامه .. يقتلع احزانه .. لن تكون هناك آلام واحزان بعد الموت .. عاد يحذره .. لن ينصت اليه .. لقد عقد العزم . احس بلطمة قوية .. سقط على الارض .. انتهى كل شيء .. تلفت حواليه في حيرة .. ماذا حدث ؟ .. جاشت في صدره مشاعر غريبة بدت اثارها في توهج عينيه واطباق شفتيه .. عجلات القطار اللانهائية .. تزلزل القضبان الحديدية في وقع رتيب .. تنشر حولها ظلال الموت .. رماها بنظرة غاضبة .. لماذا لم تدهمه فتريحه مما يعانيه ؟ .. رشق منقذه بنظرة حانقة في صوت يوشي بالانزعاج :

ـ كاد القطار ان يدهمك يا ولدي .

اصوات تأتي من بعيد ومن قريب لا تعبر عن شيء .. افواه فاغرة تنساب منها شهقات .. ضحكات .. عيون مليئة بالسخرية ... نباح القطار عواء ذئب جائع فلتت منه فريسته المستسلمة ... لماذا حرمه من نعمة يهفو اليها ؟ اي شيطان دفع بذلك الرجل في هذه اللحظة لينقذ حياته ؟ .. كان على بعد ذراع من الراحة الابدية ..

لقد تعهد اختراعه بالعرق والاخلاص .. ماذا جنى ؟ الالم .. الاحزان .. اليأس .. السخرية ؟ ما هذا الذي يقوله ؟ لا .. ليس هذا وقت عتاب .. لا يريد مزيدا من التعذيب والايلام هتف الرجل :

ـ الم تسمعني ؟

لم يجب

تلاشى دبيب العجلات .. استفحلت الاحزان في اعماقه .. اشتعلت عيناه كمحموم .

محال ان ينتظر اكثر من ذلك لا بد ان ينفذ قراره .. تراقصت امام عينيه امواج البحر .. حث خطاه .. ارسل البحر زئيرا مكتوما .. اسد غضوب .. الموج يندفع كالريح .. يلوح له .. يرحب بمقدمه .

اختار مكانا ملائما .. بعيدا عن الانظار .. لا يريد ان ينقذه احد .. لماذا لم يلجأ اليه منذ ان اتخذ قراره ؟ .. ارتعشت شفتاه ..

★

دمعت عيناه .. ماذا دهاه ؟ هل دب التردد في اوصاله ؟ هل تسرب الخوف الى اعماقه ؟ أم سرى الاحجام بين ضلوعه ؟ .. كلا .. والف كلا . شد قسمات وجهه .. تألقت في عينيه ومضة اصرار .. تحفز للقفز في الماء .. وقع بصره على قارب يصارع الامواج .. ركبه الضيق .. سوف ينقذه من في القارب .. لا مفر من الانتظار انه يتعجل الموت .. الموت يهادنه .. الوقت يمر بطيئا .. ثقيلا .. التهم ما بقي من لديه من قوة احتمال .. مزق اعصابه .. توارى خلف جذع شجرة هرمة .. وقعت عيناه على نملة تقبض بين فكيها على كسرة خبز في شغف .. تحاول ان تتسلق جذع الشجرة .. سقطت على الارض .. محاولة يائسة .. ان وزن اللقيمة اكبر من وزنها عشرات المرات ... تعثرت في شباك الفشل .. مثله تماما .. ليته سمع نصيحة سوسن :

ـ علاء .. الى متى نتقابل و .. ؟

مقاطعا :

ـ ان لدي مشروعا مذهلا .

ـ ما هو ؟

ـ تصميم آلة جديدة سيكون لها دوي في عالم الصناعة .. كل ما ارجوه ان يوافق صاحب المصنع ويمدني بالمال اللازم و ..

ـ و .. ثم ماذا ؟

ـ اريد ان يكون لي مصنع .. الآفاق المتسعة للعيش الرغد في العمل الحر .. سأكون سيد نفسي ورب عملي .. لماذا لا اكون ثريا ؟

ـ الا نستطيع ان نتحدث عن حبنا او .. ؟

ـ ان مثلي يريد ان يحقق لنفسه مكانا مرموقا اولا .. ثم يتحدث عن الحب .. والزواج .

ـ هل هذا قرارك الاخير ؟

ـ نعم .

شكرته في جفاء .. تجاهل يدها الممدودة .. تركها فريسة للابتسامات الخبيثة المسمومة والنظرات الهازئة الساخرة .. غادرت الكازينو بخطوات غاضبة .. قابل صاحب المصنع .. شرح له خيرات اختراعه .. هتف :

ـ عظيم .. اراء سديدة .. مجهود موفق باذن الله .. ولكن اهم شيء عندي ان يتفوق المصنع على منافسيه .. (قدم اليه سيجارة) .. ياباشمهندس علاء انت انسان

طيب السمعة وجميل اخلاقك لها المكانة الاولى عندي .. لقد اكتسبت باستقامتك وتوقد ذهنك مكانتك الحالية بين العاملين في مصنعي.. سأمنحك ما تريد .. وعندما تنتهي من اختراعك سأدعو الصحفيين ليتولوا امر الدعاية في الصحف والمجلات .. لكن هل انت متأكد من .. ؟

ــ كل التأكيد .

ــ معنى ذلك انك على استعداد ان تتحمل المسؤولية كاملة ؟

طغى عليه الزهو والسرور . هتف :

ــ نعم .

كان يعلم انه مستبد لا ترد له كلمة .. مارد .. يسحق بقدميه الحشرات الآدمية الحقيرة في غير رحمة او شفقة .. لكنه كان على يقين من النجاح .

ــ اريد شيئا يضمن لي .. انت تعلم ان لي اولادا ويجب ان احافظ على ثروتي .

ــ بيتي الذي ورثته عن والدتي .. الشيء الوحيد الذي امتلكه .

ــ **اتفقنا** .

قدم على اختراعه يداعبه الامل .. مر الوقت المحدد كالبرق ... اسرع اليه .. راح يستعطفه .. منحه ثلاثة شهور كفرصة اخيرة .. ملأ هدير الآلة اجواء نفسه زهوا ونشوة .. سيمفونية حالمة .. رأى في اعماق العيون عقارب الغيرة ..

جاء اليوم الموعود .. اقبل صاحب المصنع وخلفه رهط من الصحفيين والعاملين معه .. بسمة الثقة تعلو شفتيه .. تقدم من اختراعه ... من روحه .. ادار الآلة .. سعلت .. لهثت .. تمزقت اوصالها .

اغتالته الدهشة .. باغته الذهول .. تداعى جسده .. تعالت صيحات الاشفاق والحسرة .. والتشفي و ..

لم يدر كيف انطلق كالاعصار .. اشلاء ممزقة .. ممزقة .. ذائبة في الحزن والحيرة والالم .. هوت شجرته المورقة التي ظلت يانعة في صدره سنوات .. تهتكت جذور الامل .. تلاشى كل شيء في لحظات خاطفة ... منحوسة .. اصبح معدما كالطيور السابحة في السماء .

كيف يخرج من هذا التيه المعذب؟ ان الخواطر المريعة العاصفة تتقاذفه .. ماذا سيقول عنه الصحفيون ؟ بأي وجه سيقابل صاحب المصنع والعاملين معه ؟ .. الانسان لا يملك من امر نفسه شيئا .. لكنه دفع الثمن غاليا .. فقد خمس سنوات من اجمل سنوات شبابه .. تزوجت سوسن .. المراة الوحيدة التي تستطيع ان تجعله اسعد الرجال .. ضاع البيت الذي ورثه عن امه .. سار في طريق الشهرة الزائفة .. خدعته الورود والرياحين التي ظللته .. بدت له الحياة دميمة كحطام آلته .. لا بد ان احد زملائه الذين تملأ سموم الحقد صدورهم غافله ووضع متفجرا في جوفها .. ام انه اخطأ في تصميمه ؟ .. لكنه رسم .. تمحص .. ثم قدم على التنفيذ استحالت كراهيته للحياة مقتا .. لم يعد لديه شيء يخاف عليه .. قرر الانتحار .

انتزعه من بحر التأمل صوت خشخشة .. تطلع الى البحر الغاضب المربد .. وقع بصره على رجل عجوز ممسكا بمجرافين يصارع الامواج العاتية .. جسده يتصبب عرقا .. عيناه تقدحان اصرارا ، حانت منه التفاتة .. اقتربت النملة من جحرها .. اسلم نظراته للافق .. صدى صيحات السخرية يعاود اذنيه في لجاجة والحاح .. اوصال الآلة المزقة تتماوج امام ناظريه .. تسلقت النملة جذع الشجرة .. بين فكيها غنيمتها .

طارىء من النشوة يسري في جوانحه .. تألقت على شفتيه ابتسامة .

المنصورة　　**عبد العزيز الشناوي**

نهاية الحب

★

أتاني هواها بعد شيب وكبرة	**فنضر أيامي ورد شبابي**
واغنى حياتي بعد فقر ودلني	**على كل حسن في الوجود عجاب**
وفجر في قلبي ينابيع ثرة	**وقد كنت أجري خلف كل سراب**
تحرقني نار الهوى وتلذ لي	**كما التذ ظمآن ببرد شراب**
فيا حبها زدني غراما ولوعة	**وحزنا ولا تشفق علي لما بي**
كأني وما ألقاه فيها فراشة	**تعيش بواد عابس وشعاب**
متيمة بالنور ترجو وصاله	**لتحظى بآفاق لديه رحاب**
رأت ضوء نار في الدجى متألقا	**يراودها عن نفسها ويحابي**
دعاها ومناها اللهيب بحسنه	**بأحلى أمان في الخيال عذاب**
فطارت اليه ثم ألقت بنفسها	**عليه فكانت فيه خير جواب**
وحوم فوق النار روح مجنح	**يضاحكها في فرحة ودعاب**

حلب　　**عمر أبو قوس**

من أعلام الفكر والادب في فلسطين

الدكتور عزة طنوس

بقلم الفقيد البدوي الملثم

***

ولد « عزة » في مدينة « نابلس » بفلسطين عام ١٨٩٦ من ابوين عربيين متعلمين وكان المتعلمون في ذلك الزمان ، حتى مرحلة التعليم الابتدائي، فئة قليلة لا تذكر !

فقد « عزة » والده المرحوم جريس طنوس وهو في الخامسة من عمره فتولت والدته رعايته وبعثت به عام ١٩٠٦ الى بيت المقدس على ظهر بهيم لانعدام المواصلات الحديثة ، واستمرت الرحلة يوما ونصف اليوم ، ودخل مدرسة المطران وتخرج منها بتفوق عام ١٩١١ ثم علم فيها الرياضيات التي كان يمتاز فيها حتى عام ١٩١٤ ، وكان خلال السنوات الثلاث التي أمضاها مدرسا يتاهب لدخول كلية الطب في الجامعة الاميركية ببيروت وكانت تدعى في ذلك الوقت « الكلية السورية الانجيلية » وفي خريف عام ١٩١٤ التحق « عزة » بالجامعة الاميركية ودخل كلية الطب وتخرج طبيبا عام ١٩١٨ . وكان خلال دراسته رياضيا فنال المدالية الذهبية للرياضة من مدرسة المطران بالقدس وتفوق في لعبة كرة القدم حتى توصل الى ان يرئس فرقة كلية الطب بالجامعة الاميركية وفرقة الجامعة نفسها مدة اربعة اعوام .

وفي عام ١٩١٩ عاد الدكتور « عزة » الى القدس واسس عيادة طبية وكان يحب الاطفال كثيرا مما حمله على الرغبة في معالجتهم فقصد لندن عام ١٩٢٨ ليتخصص في طب الاطفال ودخل كلية الطب في جامعة لندن وبعد ان تخرج منها عاد الى القدس ليمارس اختصاصه فنجح نجاحا باهرا وكانت عيادته محجة للاطفال المرضى من جميع انحاء فلسطين .

تأثر الدكتور « عزة » مدة دراسته في لندن بوطنية الشعب البريطاني والتفافه حول العرش ، الامر الذي أثار حب فلسطين والعروبة في قلبه ، فراح يتألم اكثر من ذي قبل من الاستبداد البريطاني في فلسطين واخذ يقارن بين الحرية التي يتمتع بها الشعب البريطاني في بلاده وبين الاستعباد الذي كان يواجهه الشعب العربي الفلسطيني فثارت نقمته على الظلم وهو لا يزال يدرس في بريطانيا . ومن غرائب الصدف أن يعود الدكتور طنوس الى فلسطين عام ١٩٢٩ فيجد الشعب العربي ثائرا على الظلم البريطاني وعلى الهجرة اليهودية الدافقة وعلى محاولة الصهيونيين تحويل « البراق » وهو وقف اسلامي الى كنيس يهودي ، فاغلق عيادته واشترك في هذه الثورة وامضى ثلاثة شهور في المجلس الاسلامي الاعلى ، حيث كان مركزا للاعلام العربي الفلسطيني ، يعمل بغيرة واهتمام لابراز الحق العربي الذي كانت الدعاية الصهيونية تحاربه بكل الوسائل المضللة .

انتهت « ثورة البراق » عام ١٩٢٩ دون ان يحصل الشعب الفلسطيني على أية فائدة ، بل على العكس من ذلك فقد ازداد تدفق الهجرة اليهودية الى فلسطين بصورة مفزعة ، لا سيما بعد ان اخذ هتلر يضطهد اليهود في المانيا ، مما حمل الشعب العربي الفلسطيني عام ١٩٣٣ على ان يثور ثانية ، فقام بمظاهرات سلمية في جميع انحاء فلسطين وكان أبرزها المظاهرات التي قامت في القدس ويافا وحيفا ونابلس وغزة وقد سار فيها عشرات الالوف من العرب ، يتقدمهم في كل مظاهرة اعضاء اللجنة العربية العليا وعلى رأسها الشيخ الجليل المرحوم موسى كاظم الحسيني ، فعمدت الحكومة البريطانية الظالمة الى منع المظاهرات السلمية هذه وهددت بتفرقتها ، ليس بخراطيم المياه أو بالهراوات ... بل بالرصاص ... ولكن الشعب العربي الفلسطيني لم يجبن بل واجه رصاص الاعداء بصدور يعمرها الايمان وقتل وجرح الكثيرون منهم في تلك المظاهرات السلمية .

أما الدكتور طنوس فقد شارك في هذه المظاهرات التي زادته حماسة ضد الظلم والاستبداد البريطاني ، وراح يفكر جديا بخدمة وطنه بطريقة أجدى .

لم تتراجع بريطانيا عن ظلمها وبغيها رغم الذي قدمه الشعب العربي في فلسطين من تضحيات وقرابين وسفك دماء ... وكان من تحديها لهذا الشعب الاصيل ان ادخلت عام ١٩٣٥ ما يزيد على ستين الف مهاجر يهودي الى فلسطين بالاضافة الى عشرين الف مهاجر غير شرعي ، الامر الذي الهب المشاعر وزاد العرب تصميما على الذب عن حياض وطنهم مهما كان الثمن !

وفي ١٩ نيسان ١٩٣٦ أعلن الشعب العربي الفلسطيني الاضراب العام الشامل وكان هذا الحدث يوما مشهودا في تاريخ الكفاح الفلسطيني .. ففيه تألفت لجنة عربية عليا تحت رئاسة الحاج امين الحسيني واعلنت انها لن تفك الاضراب ما لم توقف بريطانيا الهجرة اليهودية الى فلسطين ، فشمل الاضراب جميع المرافق العامة ... فتوقفت الحركة التجارية ، واغلقت المدارس ابوابها ولم يشذ عن الاضراب العام عربي واحد !

ومضت الايام والاسابيع والشهور والحكومة المنتدبة الظالمة صماء بكماء عن هذه التضحيات الجسام ، وبعد ان مر على اعلان الاضراب شهران دعي الدكتور طنوس ليصحب السيدين جمال الحسيني وشبلي الجمل الى لندن لمقابلة وزير المستعمرات البريطاني والبحث معه في توقيف الهجرة اليهودية الى فلسطين ولو موقتا . وكان من مهام الوفد أيضا ان يقابل اعضاء مجلس النواب ورجال الصحافة والنوادي لشرح مدى الظلم الذي صبته بريطانيا على الشعب الفلسطيني البريء وكيف ان الهجرة اليهودية الدافقة تلحق الضرر بكيان العربي الفلسطيني وبمستقبله واستقلاله .

وفي ١٠ حزيران ١٩٣٦ قصد اعضاء الوفد العربي لندن وظلوا يعملون في الاوساط البريطانية مدة خمسة شهور ، وقابلوا خلالها وزير المستعمرات مستر اورمبسي غور الصهيوني النزعة تسع مرات ، ولم يستطع الوفد تغيير حجة الوزير البريطاني التي تتلخص في ان الحكومة البريطانية لا ترضخ للنفوذ الصهيوني الذي كان يسيطر على مجلس النواب البريطاني .

وطلب الوفد العربي من وزير المستعمرات ان يصدر بيانا يهدىء فيه من روع الشعب العربي الفلسطيني حول تدفق الهجرة اليهودية لكن اورمبسي غور كان تحت التأثير الصهيوني الذي كان بدوره يسيطر على سائر اجهزة الحكومة البريطانية وسياستها .

لم ينجح الوفد الفلسطيني في مفاوضاته مع وزير المستعمرات ، لكنه نجح في اوساط بريطانية اخرى اذ نشر كتيبا باللغة الانكليزية عن « القضية الفلسطينية » وقد شرح فيه المصائب التي انثالت على فلسطين في العهد البريطاني وكيف انها مصممة ، بواسطة وعد بلفور الذي لم يكن لها الحق باعطائه ، على تهويد فلسطين وتشريد أهلها ليحل محلهم « اليهودي التائه » !

كان لهذا الكتيب اثر عظيم في نفوس الكثيرين من اعضاء مجلس النواب والساسة البريطانيين ، وما كان من اللورد ونترتون عضو مجلس النواب ، وهو الذي حارب مع الامير فيصل بن الحسين ولورنس في الحرب العالمية الاولى ، الا أن ألف لجنة برلمانية قوامها ستون عضوا اكثرهم من المحافظين الاقوياء ، لتدافع عن حقوق عرب فلسطين ، وكان تأليفها اكبر نجاح لاعمال الوفد العربي في لندن . واقترحت هذه

اللجنة والكثيرون من اصدقاء العرب في بريطانيا ان من المفيد جدا تأسيس مكتب عربي فلسطيني في لندن يتولى الدعاية للقضية الفلسطينية وينطق باسم الشعب الفلسطيني ويصدر النشرات ويلقي المحاضرات ويجري المقابلات ، وبعد الاستئناس برأي اللجنة العربية العليا في القدس تأسس هذا المكتب بلندن في ٢٠ ايلول ١٩٣٦ باسم « المركز العربي » وطلب من الدكتور طنوس ان يتولى ادارته واعماله، ولما كان وضعه المادي حسنا جدا قبل المهمة واستطاع ان يقوم بالجزء الاكبر من نفقاته وباشر المكتب اعماله وكان جهازه مؤلفا من خمسة موظفين على رأسهم نصيرة العرب السيدة اليرسكن المستشرقة البريطانية والكاتبة المنصفة التي كرست حياتها لخدمة القضية الفلسطينية .

كان الاقبال على « المكتب العربي » ونشراته اقبالا منقطع النظير، وكان الطلب من الدكتور طنوس لالقاء الخطب والمحاضرات في اروقة مجلس النواب والجامعات والنوادي البريطانية بالغ الاهمية ، واخذت المقالات تبرز في الصحف البريطانية عن القضية الفلسطينية وشرع كثيرون من اعضاء اللجنة البرلمانية ، التي كانت تستقي معلوماتها واخبارها من « المكتب العربي » ، ترد على الدعاية الصهيونية المضللة في الصحف والمجلات وطفقت اللجنة البرلمانية تقيم الاجتماعات في اروقة البرلمان البريطاني ليسمع اعضاء المجلس ما يقوله الدكتور طنوس حول ظلامة فلسطين وما ينتابها من جور دولة الانتداب وبغي القائمين على تصريف شؤونها .

وبينما كان الدكتور طنوس يعمل بجد وحماس في «المكتب العربي» بلندن كلفته اللجنة العربية العليا في بيت المقدس الذهاب الى الولايات المتحدة والاتصال بالمهاجرين العرب وخصوصا الفلسطينيين منهم واشراكهم بصورة فعالة في الجهاز الفلسطيني .

وفي ١٠ حزيران ١٩٣٧ قصد الدكتور طنوس الولايات المتحدة واستقبله على الباخرة « كوين ماري » بعض اعضاء « لجنة فلسطين » التي كانت تعمل في نيويورك وفي طليعتهم المرحوم الدكتور فؤاد شطارة رئيس اللجنة والمرحوم حبيب ابراهيم كاتبه سكرتير اللجنة وجورج خير الله وبطرس جورج شحادة وغيرهم ، ثم أعدت هذه اللجنة للدكتور طنوس اجتماعات في نيويورك وواشنطون وبوسطون وديترويت وشيكاغو وغيرها ، ولحسن الحظ كان الفيلسوف العربي الكبير المرحوم امين الريحاني في زيارة لمدينة نيويورك فانبرى الى المساهمة في هذه الندوات واللقاءات وترك في نفوس مستمعيه اكبر الاثر .

ظل الدكتور طنوس في الولايات المتحدة مدة شهرين يحاضر ويخطب ويحث الشطر العربي المغترب على العمل من أجل فلسطين ، فتألفت اللجان في المدن المختلفة وشرع في جمع المال لمساعدة المناضلين الفلسطينيين في الارض المقدسة .

رجع الدكتور طنوس الى لندن وهو واثق من ان مهمته في الولايات المتحدة قد تكللت بالنجاح وان اللجان التي تألفت في المدن الاميركية المختلفة تحت رعاية لجنة فلسطين في نيويورك تعمل جادة للقضية الفلسطينية . وبعد ان واصل عمله في « المركز العربي » بضعة اسابيع كلفته اللجنة العربية العليا في القدس السفر الى جنيف ليشترك في الوفد العربي الفلسطيني الذي قصد عصبة الامم ليقابل لجنة الانتداب هناك ، وكان الوفد العربي مؤلفا من السادة جمال الحسيني ، الفرد روك ، عوني عبد الهادي ، موسى العلمي ، الامير عادل ارسلان ، وكانت مهمة هذا الوفد الاستيضاح من لجنة الانتدابات عن المرحلة التي وصل اليها الانتداب البريطاني على فلسطين ، وهل البلاد في طريقها الى الحكم الذاتي حسب صك الانتداب ؟ ومتى ستنال فلسطين استقلالها في رأي اللجنة ؟

كان اعضاء لجنة الانتدابات التابعة لعصبة الامم في جنيف اعضاء دائمين في اللجنة ليتمكنوا من مواصلة اعمال الحكومات المنتدبة على الشعوب المنتدب عليها واعدادها للحكم الذاتي ، فاتصل الدكتور طنوس بسكرتير لجنة الانتدابات وطلب منه تحديد موعد ليقابل الوفد العربي الفلسطيني اعضاء اللجنة ، فجرت أول مقابلة في تموز ١٩٣٧ ودامت مقابلات الوفد للجنة شهرا كاملا وأثار الوفد قضية الهجرة المتدفقة على فلسطين وكيف ان الانتداب البريطاني يعمل جاهدا لتهويد البلاد ومنع الشعب الفلسطيني من التقدم نحو حكم نفسه بنفسه كما هو الحال في الاقطار العربية المجاورة .

أفاض الوفد العربي بالحديث مع لجنة الانتدابات الدائمة حول قضية فلسطين والاعمال التعسفية التي تقوم بها الحكومة المنتدبة والظلم الواقع على الشعب الفلسطيني ، فاعربت اللجنة للوفد عن انها تجهل ما يجري في فلسطين من مظالم ، وهي لا تعرف شيئا عن الشعب الفلسطيني ومستوى الرقي الذي بلغه ، وكانت خاتمة المطاف ان اللجنة صارحت الوفد بانها لا تستطيع ان تؤدي خدمة للشعب العربي الفلسطيني لان بريطانيا تمانع في ذلك ، وبريطانيا كما تعلمون دولة ذات حول وصول . هذا التصريح كان اكبر دليل على عدم جدوى هذه اللجنة ، ومما أذهل الوفد العربي ما جرى في حفلة الوداع التي اقامتها لجنة الانتدابات الدائمة له حين سأل رئيس اللجنة ، وكان بلجيكيا ، الدكتور طنوس سكرتير الوفد : « من اي بلد انت ؟ » وبدهشة لا توصف أجاب : « من فلسطين » ثم سأله عن جنسيات بقية الاعضاء فاجابه مندهشا « كلهم من فلسطين ، الا واحدا هو الامير عادل ارسلان السوري الجنسية » وكانت دهشة الرئيس وباقي اعضاء اللجنة كدهشة الوفد العربي بهذه التساؤلات ... اذ ظهر اعضاء لجنة الانتدابات ان المفاوضين هم محامون أجانب استأجرهم الفلسطينيون ليفاوضوا اللجنة نيابة عنهم ... فاي أمل يتوخاه الشعب الفلسطيني من لجنة كهذه وقد استمعت للتقارير التي تقدمها حكومة الانتداب مدة سبع عشرة سنة ؟!

عاد الدكتور طنوس الى لندن لمزاولة اعماله في « المركز العربي » فوجد ان وزير المستعمرات اورمبسي غور قد استقال من الوزارة ليخلف اباه الذي توفاه الله ، في مجلس اللوردات فشكر الله على هذه الاستقالة وتمنى ان يتولى هذا المنصب الوزاري الهام من هو اقل تحيزا لليهود ، ولم تمض مدة وجيزة حتى اختار مستر شامبرلين رئيس الوزارة البريطانية مستر مالكولم ماكدونالد ، ابن الزعيم العمالي جيمس ماكدونالد ، وزيرا للمستعمرات ، فقابل الدكتور طنوس هذا التعيين بالوجوم لمعرفته ان الوزير الجديد لا يقل حماسا للصهيونية عن سلفه .

آمن الدكتور طنوس بان الدعاية للقضية الفلسطينية امر جوهري هام ، والاهم من ذلك كله الاتصال الشخصي بوزير المستعمرات وهو المسؤول عن سياسة فلسطين ، والصمام الاول في قضيتها . وكانت المفاوضات بين الدكتور طنوس ووزير المستعمرات السابق عقيمة ، اذ كان اورمبسي غور الشخص الذي استأجره اليهود ليكون ضابط اتصال بين الحكومة البريطانية المنتدبة والوكالة اليهودية في فلسطين عام ١٩١٨ ، متصلبا في رأيه .. لا يحيد عنه قيد أنملة !

اتصل الدكتور طنوس بوزير المستعمرات الجديد ، وتمت أول مقابلة في تموز عام ١٩٣٨ وكان الدكتور طنوس اول عربي يقابل مستر ماكدونالد حسبما صرح به ، وانتهت هذه المقابلة بتفاهم مرض اذ طلب الوزير من الدكتور عزة مقابلة ثانية بعد اسبوع ، واستمرت المفاوضات بينهما عاما كاملا زادت فيه على ثلاثين لقاء وقد دارت كلها حول عدم صلاحية بريطانيا لاعطاء وعد بلفور وانتهاك ميثاق عصبة الامم في ادخال وعد بلفور في صلب صك الانتداب وانتهاك جميع المبادىء الانسانية في انشاء وطن لاناس دخلاء غرباء في وطن يملكه أهله منذ مئات القرون ، وان ما يلاقيه عرب فلسطين على يد بريطانيا هو منتهى الظلم والجور والاستبداد ، وهذا الظلم يولد شرا مستديما في الشرق الاوسط كله .

وعلى توالي الايام استطاع الدكتور عزة اقناع مالكولم مكدونالد

بعدالة قضية الشعب الفلسطيني وبالظلم الذي تنزله بريطانيا بعرب فلسطين ، ورغم انه كان ضالعا مع الصهيونية فقد حارب أباه جيمس مكدونالد حينما كان رئيسا للوزراء عام ١٩٣٠ ، وجاهر بسياسة موالية للعرب واخذ يدافع عن الشعب العربي في مجلس النواب حتى انه قال ذات يوم في المجلس « لو كنت عربيا لاوجست خيفة من هذه الهجرة اليهودية المتدفقة ! » وقد أثارت هذه الكلمات ضجة يهودية في العالم كله !

كانت نتيجة اللقاءات التي تمت بين الدكتور طنوس ووزير المستعمرات الاتفاق على عقد مؤتمر في لندن بين الحكومة البريطانية ووفد يمثل الشعب العربي الفلسطيني ، كما ستعقد بريطانيا مؤتمرا مستقلا مع الوكالة اليهودية . وبعد الاتفاق على عقد المؤتمر طلب الدكتور طنوس من وزير المستعمرات ان تشترك الحكومات العربية في ذلك المؤتمر ظنا منه أن في اشتراك الحكومات العربية دعما للجبهة العربية في فلسطين ، ولكن الوزير رفض هذه الفكرة واراد ان يحصر المؤتمر في فلسطين والفلسطينيين وحدهم ولكن الدكتور طنوس أصر على اشتراك الحكومات العربية في المؤتمر ، فاستمهله الوزير ريثما يبحث الموضوع مع رئيس الوزراء ، وبعد قليل أبلغه موافقة الرئيس على اشتراك الحكومات العربية في المؤتمر الامر الذي أثار ضجة في اوساط الصهيونية العالمية .

قررت بريطانيا ان يعقد المؤتمر في اعقاب عام ١٩٣٨ وطلب وزير المستعمرات من الدكتور طنوس العودة الى فلسطين ليفاتح اللجنة العربية العليا سرا بالامر الذي تم الاتفاق عليه ، وكان بعض اعضائها مقيمين في بيروت هربا من ملاحقة السلطات البريطانية والبعض الآخر منفيا في جزيرة سيشل ، وان بريطانيا ستصدر عفوا عن المنفيين ليتمكنوا من حضور المؤتمر ، وانها ستوجه دعوات الى الحكومة العربية لتشترك في بحث « مستقبل فلسطين » .

قام الدكتور طنوس بهذه المهمة وكان لهذا النبأ الوقع الحسن لدى اللجنة العربية العليا التي شرعت في اعداد المذكرات والابحاث اللازمة لذلك المؤتمر ، وجرى ذلك كله في جو من الهدوء والسرية ، بينما كانت فلسطين على اتون من النار ، وكان الشعب الفلسطيني ثائرا على الانتداب والصهيونية .

عقد المؤتمر في كانون الاول ١٩٣٨ بقصر سان جيمس بلندن وقد افتتحه رئيس الوزارة البريطانية وكان يصحبه وزيرا الخارجية والمستعمرات ، وكانت الوفود العربية التي اشتركت في المؤتمر : الوفد الفلسطيني ، الوفد المصري ، الوفد السعودي ، الوفد العراقي ، الوفد اليمني ، الوفد الاردني ، اما الوفد السوري والوفد اللبناني فبعد ان بلغا باريس في طريقهما الى لندن، منعتهما السلطات الفرنسية، المنتدبة على هذين القطرين العربيين ، من الاشتراك في المؤتمر ، وهذا شان الاستعمار ... في كل زمان ومكان !

ظل مؤتمر سان جيمس منعقدا في لندن ثلاثة شهور ، وكان المتكلمون فيه وزير المستعمرات عن الحكومة البريطانية ، بحضور وزير الخارجية او من ينوب عنه والوفد العربي الفلسطيني عن الشعب الفلسطيني ، باشتراك جميع الوفود العربية وافاض المتكلمون العرب بالحديث عن استقلال فلسطين في العهد العثماني وعن المراسلات التي دارت بين الحسين ـ مكماهون وعن ميثاق عصبة الامم ووعد بلفور وعدم قانونيته وميثاق عصبة الامم وصك الانتداب الزائف والهجرة اليهودية وبيع الاراضي والاقتصاد والتعليم وحق الشعب الفلسطيني بالاستقلال وفق ميثاق عصبة الامم ، وقد اشترك الدكتور طنوس في جلسات المؤتمر وكان « المركز العربي » الذي يرئسه في لندن قد أعد جميع الوثائق والدراسات والاحصاءات اللازمة للمؤتمر وقدمها للوفد العربي الفلسطيني .

أما المؤتمر الذي عقد بين الحكومة البريطانية والوكالة اليهودية فلم يتجاوز الاجتماع الاول اذ انسحبت الوكالة اليهودية من المؤتمر حينما تناهى اليها ان المؤتمر يبحث في استقلال فلسطين ، وفي شهر اذار ١٩٣٩ اصدرت الحكومة البريطانية « الكتاب الابيض » الذي الغى وعد بلفور والهجرة اليهودية الى فلسطين بعد ادخال ٧٥ الف مهاجر يهودي ، كما حدد بيع الاراضي واقامة حكم ذاتي لفلسطين يرتكز على نسبة عدد الاهلين وهو الثلثان من العرب والثلث من اليهود حتى تستقل البلاد استقلالا ناجزا لا غبار عليه خلال عشر سنوات .

حقق « الكتاب الابيض » انتصارا كبيرا للعرب اذ الغى وعد بلفور واثار بهجة عظيمة في نفوس العرب وضربة قاصمة للاماني الصهيونية ، لذلك رفض الصهيونيون « الكتاب الابيض » رفضا باتا واشهروا الحرب عليه . اما اللجنة العربية العليا التي كانت تجتمع في بلدة قرنايل بلبنان برئاسة الحاج امين الحسيني فقد بحثت « الكتاب الابيض » بحثا دقيقا ووافقت عليه باستثناء رئيسها الحاج امين الحسيني الذي تردد في قبوله لوجود بعض الغموض في عدد من بنوده فبعثت الهيئة العربية العليا الدكتور طنوس الى لندن ليبحث مع وزير المستعمرات في هذا الغموض ، فقصد لندن وسأل الوزير جلاء الغموض الملحوظ في الكتاب وهنا قال له وزير المستعمرات : « عد الى فلسطين وانصح اللجنة العربية العليا بضرورة قبول « الكتاب الابيض » فورا لان قبول مجلس النواب البريطاني للسياسة البريطانية الجديدة في فلسطين لم يتم الا بصعوبة قصوى ، وعلى العرب ألا يفرطوا بهذه الفرصة الذهبية ! »

عاد الدكتور طنوس الى قرنايل واطلعها على ما جرى بينه وبين وزير المستعمرات ، وفي هذه الاثناء ذهب وزير المستعمرات الى جنيف ليعلن السياسة الجديدة لفلسطين امام عصبة الامم ، ولكن هذه العصبة ازاء الضغط الصهيوني الهائل على اعضائها رفضت الموافقة على سياسة بريطانيا التي تضمنها الكتاب الابيض ولكن الوزير أصر على تنفيذ هذه السياسة بدون موافقة عصبة الامم .

ولخطورة ما جرى في عصبة الامم فقد أرسلت اللجنة العربية العليا الى جنيف وفدا قوامه السادة : جمال الحسيني وموسى العلمي والدكتور طنوس ليقابلوا وزير المستعمرات فتمت المقابلة في حفلة عشاء اقامها الوزير على شرف الوفد وقد سادها جو من الود والتفاهم ، وفي آخر الحفلة قال وزير المستعمرات « ان الحكومة البريطانية مصممة على تنفيذ سياستها في الكتاب الابيض ، سواء أرضيت عصبة الامم أم لم ترض ... وسواء أرضي الصهيونيون ام لم يرضوا ! »

ولما عاد الوفد العربي من جنيف الى فلسطين وقع الاتفاق الالماني الروسي الذي هز العالم وقربه من الحرب العالمية الثانية التي اعلنت في اليوم الاول من ايلول ١٩٣٩ ، فجمد الكتاب الابيض ووضع على الرف وبذلك خسر العرب فرصة ذهبية لن تعوض !

ويذكر الدكتور طنوس ان ابرز ما قام به من اعمال خلال جهاده السياسي هو التوفيق الذي أصابه مدة السنوات الاربع التي امضاها في بريطانيا والمفاوضات الناجحة التي اجراها مع وزير المستعمرات مالكولم ماكدونالد والصداقة الوطيدة التي قامت بينهما ناهيك عن المراسلات التي ظلت مستمرة بينهما مدة طويلة .

نشبت الحرب العالمية الثانية في الاول من ايلول ١٩٣٩ فرجع الدكتور طنوس وبعض اعضاء الهيئة العربية العليا الى القدس وحاول الدكتور طنوس ان يقنع سماحة الحاج امين الحسيني باصدار بيان الى الشعب الفلسطيني ليبقى محايدا ريثما تنتهي الحرب ، لكن سماحته رفض الاقتراح الذي قدمه الدكتور طنوس واصدر بدوره بيانا جاء فيه ان الشعب الفلسطيني سوف لا يسيء الى فرنسا مدة الحرب، مع ان فرنسا كانت حليفة لبريطانيا ، فايقنت بريطانيا ان عدم ورود اسمها في البيان دليل على ان الشعب الفلسطيني هو في حالة حرب معها !

وفي هذه الاثناء استقال وزير المستعمرات مالكولم ماكدونالد من منصبه وحل محله اللورد لويد جورج ، وكان هذا صديقا للعرب اذ

اشترك مع الامير فيصل في الحرب العالمية الاولى ، وبعد ان تسلم لويد جورج زمام عمله بعث بصديقه الكولونيل نيو كامب ، وهو صديق للدكتور طنوس ، ليجتمع بالهيئة العربية العليا بواسطة الدكتور طنوس ليقنع اعضاءها بقبول الكتاب الابيض ، وتوصلا لهذا الاقناع لا بد من مقابلة سماحة الحاج امين الحسيني ، الذي انتقل من بيروت الى بغداد ، فتوجه نيو كامب الى بغداد ، وكان فيها السيد جمال الحسيني ، وبعد المقابلة رفض الحاج امين الكتاب الابيض فعاد نيو كامب بخفي حنا .. وحنين ... وبذلك خسر العرب فرصة نادرة لا تعوض !

وخلال الحرب العالمية الثانية وقف عقربا الحركة العربية الوطنية تماما ، وفي حزيران ١٩٤٥ ، وكانت الحرب بين الحلفاء واليابان لا تزال ناشبة ، طلبت جامعة الدول العربية من الدكتور طنوس ان يتوجه الى لندن ويؤسس مكتبا للجامعة العربية يتولى الدعاية للقضية العربية لا سيما قضية فلسطين ، فلبى الدكتور طنوس الطلب وقصد لندن فوجد ان الاحوال صعبة فيها للغاية ، ولم يكن من السهل ايجاد مكتب مناسب ، لكن الجنرال سبيرز وهو صديق للعرب أنقذ الموقف اذ قدم للدكتور طنوس ثلاث غرف من مكتبه الكبير ، وشرع المكتب يعمل بجد واندفاع بمساعدة المرحوم ادوارد عطية والاستاذين انور نسيبة وانور النشاشيبي .

وبعد ان امضى الدكتور طنوس خمسة شهور في لندن يعمل في المكتب العربي اصابه سوء الطالع اذ قضت قرينته المريضة نحبها فعاد توا الى بيروت حيث كانت قيد العلاج ومنها الى القدس ، فوجد الحركة الوطنية ، لغياب الكثيرين من زعماء البلاد هزيلة جدا ، فتألفت لجنة تنفيذية ضمت نخبة من الوطنيين وكان منهم : الحاج عبد الحميد شومان ، أحمد الشقيري ، اميل الغوري ، سامي طه ، الدكتور يوسف هيكل ، فارس السرحان ، كامل عبد الرحمن ، هنري كتن ، محمد عبده عبد الباقي ، كامل الدجاني ، الدكتور طنوس الذي عهد اليه بامانة سر اللجنة وامانة صندوقها ، وقد اتخذت من مكتبه الخاص مكتبا لشؤونها . ولما عاد السيد جمال الحسيني من منفاه برودبسيا طلب منه اعضاء اللجنة ان يتولى رئاستها ففعل .

قامت اللجنة بدعاية ناجحة للغاية واخذ الشعور القومي يتحرك من هجعته ، وظلت هذه اللجنة تعمل بجد متواصل حتى عقد اجتماع الجامعة العربية في بلودان عام ١٩٤٦ فتألفت الهيئة العربية العليا برئاسة الحاج امين الحسيني الذي فر من معتقله بفرنسا الى القاهرة، ونقلت الهيئة مركز نشاطها الى القاهرة ، وفي اول اجتماع عقدته الهيئة قررت تأسيس صندوق قومي اسمته « بيت المال العربي » فطلبت من الدكتور طنوس ان يكون الامين العام لبيت المال فقبل الاضطلاع بهذا العمل الشاق بلا مقابل شأنه في كافة الاعمال والرحلات السابقة التي قام بها منذ عام ١٩٣٦ .

عاد الدكتور طنوس الى بيت المقدس ونظم « بيت المال العربي » لاول مرة في تاريخ الحركة الوطنية ، على أسس حديثة فالف لجنة من الخبراء الماليين والتجار ليعمل بيت المال العربي تحت رعايتها وارشاداتها ، وكان من اعضائها السادة : عبد الحميد شومان ، الحاج طاهر قرمان ، انيس نصر ، الحاج مصطفى ستيتية ، جمال الحسيني ، موسى العلمي وغيرهم ، ثم انشأ الدكتور طنوس ستة مكاتب لبيت المال العربي في كل من القدس ، يافا ، حيفا ، نابلس ، غزة ، الناصرة وكان لكل مكتب مدير ومحاسب وجاب ثم انتخب الاستاذ يوسف صايغ مديرا عاما لبيت المال والاستاذ جورج فؤاد جورج مساعدا له والسيد نايف شبلاق مساعدا ثانيا ، وطلب من الاستاذين صايغ وجورج اعداد قيود بجميع العرب في فلسطين حسب اعمالهم ومهنهم لجمع التبرعات منهم ، وكان لدى بيت المال العربي قيود تضاهي قيود الحكومة ، ثم اصدر امين بيت المال كتيبا شرح فيه اهداف بيت المال العربي وموازنته وكان لبيت المال دستور يربطه بالهيئة العربية العليا ويحدد الصلاحيات في صرف المال .

كان بيت المال العربي يفرض على كل عربي يعمل في فلسطين التبرع لبيت المال وتأدية ضريبة بواسطة طابع يلصق على كل فاتورة ، حتى ان هذه الضريبة كانت تجبى في الباصات والفنادق والمطاعم وغيرها ، وكان هذا البيت مصدر غذاء للحركة النضالية في فلسطين ، ولولاه ما استطاع الفدائيون الصمود والدفاع عن القطاعات التي انقذوها من فلسطين لا سيما القدس والضواحي المجاورة . ويصرح الدكتور طنوس بان عمله في بيت المال العربي كان ينبغي تأسيسه في عام ١٩١٨ وليس في عام ١٩٤٦ .

وفي عام ١٩٤٦ وصلت الى فلسطين اللجنة الانكليزية ـ الاميركية للبحث عن حل للقضية الفلسطينية وصاقب ذلك خروج بريطانيا من الحرب العالمية الثانية وهي مهلهلة .. منهوكة القوى ، ولم تستطع بسبب الضغط الاميركي والصهيوني معا من وضع الكتاب الابيض الذي اصدرته عام ١٩٣٩ موضع التنفيذ .

وبعد جلسات مطولة عقدتها اللجنة واشترك الدكتور طنوس في أبحاثها اصدرت تقريرا تحيزت فيه لليهود ، اذ قررت استمرار الهجرة اليهودية الى فلسطين وحرمت الشعب الفلسطيني من نيل استقلاله بعكس الكتاب الابيض الذي نص على الغاء وعد بلفور والحد من الهجرة اليهودية الى فلسطين وتأسيس حكومة وطنية ثلثاها من العرب وثلثها من اليهود تمارس الاستقلال الكامل خلال عشر سنوات وعقد معاهدة تحالف مع بريطانيا كما كان الحال مع حكومة العراق .

وبعد صدور تقرير اللجنة الانكليزية ـ الاميركية بدا ان بريطانيا لا تنوي تنفيذ الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ فثار الشعب الفلسطيني ثانية ونشب القتال بين العرب واليهود ، وكان اليهود قد استعدوا مدة الحرب العالمية الثانية لهذه المعارك وألفوا فرقا عسكرية وعصابات للنسف والقتل والتدمير مثل الهاغاناه وارغون وشتيرن ، فاخذت هذه العصابات تهاجم الجيش البريطاني وتنسف البنايات العربية وتقتل الاهلين وتدمر الفنادق الكبرى كفندق الملك داود وفندق سميراميس في حي القطمون بالقدس فاشتد القتال واختل الامن ولم تشأ بريطانيا ان تضع حدا لاعمال العصابات اليهودية بينما كانت تقاوم الدفاع العربي الفلسطيني . وبينما كان القتال ناشبا اعلنت بريطانيا انها قررت انهاء انتدابها على فلسطين واعادة القضية برمتها الى هيئة الامم المتحدة لتقرر مستقبل فلسطين فعقدت الجمعية العمومية دورة استثنائية واحتضنت القضية واخذت مكان الانتداب الفلسطيني واستطاع هاري ترومان رئيس الولايات المتحدة الاسبق ، بانحيازه الى الصهيونية ، ان يهدد بعض اعضاء الامم المتحدة ان لم يصوتوا على مشروع تقسيم فلسطين الذي اعدته لجنة من مندوبي الدول الضالعة مع الصهيونية، وفي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ صدر قرار ينص على تقسيم فلسطين الى قسمين : عربي هو القسم الاكبر والاكثر جفافا ، ويهودي وهو القسم الاكبر والاكثر خصبا بينما السكان العرب وهم أهل البلاد الاصليون يؤلفون ثلثي السكان واليهود الدخلاء يؤلفون ثلث السكان ويملكون ٩٪ فقط من اراضي فلسطين .

اسفر هذا القرار الجائر عن ثورة عارمة قام بها العرب وفي ١٥ آيار ١٩٤٨ انسحبت بريطانيا من فلسطين تاركة الشعب الفلسطيني الاعزل يدافع عن ارضه ضد الشعب اليهودي الدخيل الذي فرضته بريطانيا على الفلسطينيين بقوة السلاح وسهلت له انشاء فرق عسكرية وعصابات مدججة باسلحة بريطانية لتغتصب فلسطين وتشرد أهلها !

دافع عرب فلسطين عن بلادهم ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، ودخلت الجيوش العربية لنصرتهم ... لكن الخيانات أفسدت المسعى. ودارت معارك مريرة على ارض فلسطين ، منها معركة انقاذ القدس وقد استطاع حفنة من الابطال المناضلين الابقاء على القدس القديمة واجزاء اخرى من القدس الجديدة وبيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور والخليل ورام الله والبيرة في أيد عربية ، وكان الدكتور طنوس والمغفور له احمد حلمي باشا عبد الباقي والاستاذ روحي الخطيب من القلائل الذين بقوا في القدس القديمة ودافعوا عنها دفاع الابطال وزودوا المناضلين بالمال والرجال والفداء ، فصمدوا امام الهجمات الصهيونية العنيفة .

كان في القدس وضواحيها نحو تسعمئة مناضل دافعوا عنها دفاع

الابطال ، ومن الانصاف التنويه بذكر الشهيد عبد القادر الحسيني الذي استشهد في القسطل وكان الدكتور طنوس يزوده بالفي دينار في الشهر الواحد للانفاق على فرقته ، ولما كان هذا المبلغ ضئيلا بالنسبة للمسؤولية التي اضطلع بها البطل الشهيد اصطحب الدكتور طنوس المرحوم عبد القادر الحسيني الى دمشق لكنهما لم ينجحا في المهمة التي زارا دمشق من اجلها فعاد عبد القادر الى القدس حانقا ووجد ان قرية القسطل ، احدى قرى القدس ، قد احتلها اليهود فهاجمها برجاله واحتلها ثانية لكنه لسوء الحظ استشهد على أرض القسطل فخسر النضال العربي بهذا البطل الحلاحل خسارة لا تعوض .

ووجد الدكتور طنوس ان البطل ابراهيم أبا دية يدافع مع فرقة واحدة عن بيت لحم فاتى بهذه الفرقة وببطلها الى حي القطمون العربي بالقدس ، وقد كان هدفا لهجمات اليهود وكاد اليهود يحتاونه، وكان يدفع لها الف دينار في الشهر ، لكن اليهود استطاعوا احتلال القطمون في ١٢ أيار ، ووقف الجيش البريطاني في وجه الامدادات العربية التي تقدمت لاسترداد هذا الحي العربي ، لكن ابراهيم أبا ديه لم يستسلم للعدو بل واصل جهاده الى ان جرح في معركة بالقرب من بيت لحم واستشهد بعدها بوقت قصير .

كان في القدس نحو ٢٣٠ بوليسا عربيا مسرحا نتيجة انسحاب حكومة الانتداب فجندهم الدكتور طنوس وقدم لهم رواتب من بيت المال العربي فدافع هؤلاء الشجعان عن القدس دفاعا مجيدا وساعدوا المناضلين على ابقاء القدس عربية واتخذوا من أسوار المدينة القديمة متاريس لهم ، وبهذه البسالة والايمان بلغ قتلى اليهود المتدافعين لاحتلال القدس المئات وقد غصت بجثثهم الطرقات المحاذية لاسوار المدينة .

وفي ١٨ أيار ١٩٤٨ نفدت ذخيرة المناضلين فتوجه الدكتور طنوس والسيد منير أبو فاضل الى اريحا ليقابلا المرحوم عبد القادر الجندي مساعد قائد الجيش الاردني ، وكان مارا باريحا ، فقابلاه وطلبا المزيد من السلاح ، وفي هذه الاثناء مر السيد فوزي القاوقجي ، قائد جيش الانقاذ فطلبا منه السلاح للمناضلين العرب فكلفهما الذهاب الى رام الله ، وكانت المركز الرئيسي لجيش الانقاذ ، فقصدا رام الله ووجدا فيها حوالي ٦٠٠ مناضل وكلهم مستعدون للهجوم على القدس من طريق شعفاط لتخفيف الضغط اليهودي عن المدينة المقدسة وصده عن بابي الخليل والعامود ، وبعد جدال عنيف وافق القاوقجي على ان يزود المناضلين بضباط من جيش الانقاذ ليديروا معهم المعركة ، وكان الموعد في الساعة الثالثة بعد الظهر في بلدة شعفاط ، وفي الوقت المحدد بلغ المناضلون شعفاط وفي طليعتهم الدكتور طنوس والسادة أنور نسيبة ، أنور الخطيب ، اميل الخوري ، وقبل ان يصل ضباط جيش الانقاذ الى شعفاط دارت معركة بين العرب واليهود فجرح أنور نسيبة في ساقه فنقل الى رام الله وبعد انتظار طويل لم يأت الضباط الذين وعد بهم القاوقجي فعاد الجميع الى رام الله ورجع الدكتور طنوس الى اريحا والتقى بالسيد منير ابي فاضل وقصدا معا المعسكر الاردني حيث كان القائد عبد الله التل ، الذي انسحب من القدس في ١٤ أيار ، معسكرا هنا وبعد جدال عنيف دار على الهاتف بين الدكتور طنوس من طرف والمرحوم توفيق أبي الهدى رئيس الوزراء الاردني ورئيس الاركان عبد القادر الجندي من طرف آخر وافق الملك عبد الله على ان تتحرك الى القدس سرية من الجيش الاردني المعسكر في أريحا لمساعدة المناضلين الفلسطينيين في الدفاع عن القدس . وفي ١٨ أيار ١٩٤٨ تحرك القائد عبد الله التل وسريته والدكتور طنوس الى القدس وكان لاشتراك الجيش الاردني في الدفاع عن القدس فائدة لا تثمن اذ استطاع المناضلون البقاء في مراكزهم .

وبعد انتهاء المعركة توجه الدكتور طنوس الى بيروت وألف لجنة عربية فلسطينية كان سكرتيرا لها ، لتواصل العمل من أجل فلسطين. ووجدت هذه اللجنة ان وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين تعبث بالمؤن والاموال التي تتلقاها غوثا للاجئين فشنت عليها حربا شعواء ، ثم خولت اذنا من الامم المتحدة بالتدقيق في اعمال هيئة الاغاثة ، فاستغرق عملها ثلاثة شهور ونجم عنه اقالة لجنة العطاءات في وكالة الغوث واقالة رئيسها المدعو بلندفورد واستبداله بالسيد هنري لابوس الذي انشأ وكالة مثلى لغوث اللاجئين وكان هذا الاجراء عملا مشكورا .

وفي عام ١٩٥١ حبذت « اللجنة العربية الفلسطينية » سفر الدكتور طنوس الى دورة الامم المتحدة المنعقدة في باريس فحضر الدكتور تلك الدورة واستطاع ان يتكلم في اللجنة السياسية الخاصة بالنيابة عن الشعب الفلسطيني وكان هذا العمل استثنائيا اذ لا يجوز ان يخطب في هذه اللجان الا مندوبون عن الدول الممثلة في هيئة الامم ولم يكن للفلسطينيين دولة . كان للبيان الذي القاه الدكتور طنوس في اللجنة السياسية الخاصة وقع حسن فطلب منه الذهاب الى نيويورك في عام ١٩٥٢ ليتكلم ثانية باسم الشعب الفلسطيني ، وظل يتكلم باسمه في كل دورة من دورات الامم المتحدة حتى هذا اليوم .

رجع الدكتور طنوس من دورة عام ١٩٥١ الى بيروت وانشأ مكتبا اسماه « المكتب العربي الفلسطيني » وشرع هذا المكتب في اصدار النشرات حول القضية الفلسطينية لتظل هذه القضية حية ... واذ بالدكتور فاضل الجمالي ، وزير خارجية العراق آنذاك ، يطلب من الدكتور طنوس السفر الى بغداد ليقابله هناك ، ففعل وفي المقابلة عرض الدكتور الجمالي على الدكتور طنوس تأليف وفد من ستة اشخاص يحسنون الانكليزية ويلمون بابعاد وجوانب القضية الفلسطينية ، وفي وسعهم التكلم بفصاحة عنها في الولايات المتحدة ، وأبدى استعداد الحكومة العراقية لتقديم نفقات هذا الوفد .

رحب الدكتور طنوس بهذه الفكرة ولكنه اقترح ان تشترك في هذا المشروع العظيم دول اخرى فراسل صديقه الامير فيصل آل السعود (الملك فيصل فيما بعد) فدعاه الى جدة ، فسافر اليها وكان ضيفه مدة ثلاثة اسابيع وقدم له عشرة آلاف دينار انكليزي كما تبرعت حكومة العراق بعشرة آلاف دينار اخرى ، وهذان المبلغان كانا كافيين لتغطية نفقات الوفد .

عاد الدكتور طنوس الى بيروت والف لجنة من الخبراء لاعداد النشرات التي لا بد من توزيعها على الشعب الامبركي ثم سافر الى الولايات المتحدة ليهيء مكان وزمان المحاضرات والمقابلات ، ثم الف لجنة من العرب والاميركيين لتضطلع بهذه المهمة الشاقة ، وبعد البحث الجدي وجدت هذه اللجنة ان وفدا قوامه ستة اشخاص يقوم بالدعاية لقضية يجهل الشعب الاميركي امرها ويعرف الكثير عن وجهة النظر اليهودية ، لا يفيد كثيرا واقترحت ان من الانسب انشاء مكتب عربي فلسطيني باسم « المكتب العربي للاجئين الفلسطينيين » ثم تحولت التسمية الى « المكتب العربي الفلسطيني » ومهما كان هذا الوفد صغيرا عمله الدعائي والاعلامي سيظل متواصلا عدة سنوات . وفي شهر تموز ١٩٥٥ تأسس « المكتب العربي الفلسطيني » في نيويورك وكانت بنايته بالقرب من مقر الامم المتحدة .

ترأس الدكتور طنوس هذا المكتب العربي الذي شرع في الدعاية للقضية واصدار النشرات الشهرية والمقالات الضافية حولها ، وظل هذا المكتب يؤدي رسالته الوطنية من عام ١٩٥٤ الى عام ١٩٦٢ وكانت تدعمه الحكومة العراقية ولم تؤثر في سيره الاحداث السياسية التي وقعت في العراق .

وخلال هذه المدة كان « المكتب العربي الفلسطيني » في بيروت يعمل في شرح قضية فلسطين وتفصيل ظلامتها في سائر الاقطار العربية ، وفي عام ١٩٦٢ رجع الدكتور طنوس الى بيروت ليضاعف عمله ولم ينقطع عن الذهاب الى الامم المتحدة بل واصل حضور كل دورة ليتكلم في اللجنة السياسية الخاصة عن القضية الفلسطينية .

وفي عام ١٩٦٤ قررت جامعة الدول العربية انشاء « منظمة التحرير الفلسطينية » وعقد لها اول مؤتمر في القدس في ٢٣ ايلول ١٩٦٤ ودعي الدكتور طنوس ليدير المؤتمر الذي نظمه تنظيما يدعو الى الغبطة والارتياح حتى انه خرج بقرارات اعترفت بالكيان الفلسطيني واعطت الشعب الفلسطيني وجودا وكيانا كانا منكرين عليه مدة ست عشرة سنة .

وبعد فراغ المؤتمر الفلسطيني من جلساته طلب من الدكتور طنوس السفر الى نيويورك وفي طريقه اليها عرج على قبرص وقابل رئيس جمهوريتها المطران مكاريوس فعلم منه ان التعليمات صدرت الى مندوب قبرص في الامم المتحدة السيد روسيدس ليعمل حسب رغبات الشعب الفلسطيني ، ثم عرج الدكتور عزة على يوغوسلافيا فقابل نائب رئيس الجمهورية تيتو ووزير الخارجية وبحث معهما تطورات القضية الفلسطينية .

كان مكتب « منظمة التحرير الفلسطينية » في نيويورك يعمل كأنه يمثل دولة فلسطين وكان الدكتور طنوس رئيس المكتب يجتمع مع المندوبين الدائمين للدول العربية على نفس المستوى وكان لكلمته في القضية الفلسطينية ثقلها ووزنها ، ولظروف عائلية قاهرة عاد الى بيروت ليدون مذكراته التي اسماها « انطباعاتي عن القضية الفلسطينية » وشرع في تدوينها في تشرين الاول ١٩٦٨ .

ومن آثاره القلمية : وضع الدكتور طنوس عشرات النشرات والكراسات وكلها تدور في فلك القضية الفلسطينية ، ولو انه عمد الى تدوين مذكراته السياسية ، منذ طلق مهنة الطب واقبل على خدمة قضية بلاده لربحت القضية بهذه المذكرات اثرا نفيسا ، ولعله مبادر الى طبع كتابه الضخم الذي عكف على تصنيفه بعنوان «انطباعاتي عن القضية الفلسطينية » ففي اخراجه الى عالم النور كسب للقضية التي نذر علمه وقلمه وتجاربه من اجل خدمتها والدفاع عنها !

نموذج من نثره : « تعد قضية فلسطين من اقسى التجارب التي مر بها العرب منذ مئات السنين . وقد مروا بمثلها في الحروب الصليبية المعروفة قبل الف سنة مضت ولا تزال معالم ومظالم هذه الحروب ظاهرة الى يومنا هذا .

وبعد خبرة اربع عشرة سنة في هذه القضية ، ثبت للعرب جميعا انه لا يمكن حل هذه القضية حلا عادلا بالطرق السلمية . فاذا كان منا من يظن ان الامم المتحدة او الدول الكبرى ، الغربية منها الشرقية ، او كلها مجتمعة تستطيع ان تتقدم في قضيتنا خطوة واحدة الى الامام لصالح العرب ، فهو على ضلال مبين . وان ما نتج عن المباحثات التي قام بها الدكتور جوزف جونسون ، مندوب لجنة التوفيق الفلسطينية الخاص ، وما دار بينه وبين الدول العربية وبينه وبين الاسرائيليين ، لدليل على ذلك .

ولن يتنازل اليهود عن شبر ارض واحد احتلوه من فلسطين بقوة الاستعمار والارهاب ، الا بالسيف . ولن ينال الفلسطينيون حقوقهم في وطنهم ، الا بالسيف .

ولن يتنازل اليهود عن شبر ارض واحد احتلوه من فلسطين بقوة الاستعمار والارهاب ، الا بالسيف .

ولن ينال الفلسطينيون حقوقهم في وطنهم ، الا بالسيف .

ولن يتمكن العرب منع الاسرائيليين من تحويل مياه نهر الاردن ، الا بالسيف .

ولن يتمكن العرب من ايقاف التيار الذي يستهدف تصفية قضية فلسطين تصفية تضر بمصلحة اهل البلاد ، الا بالسيف .

ولن يتمكن العرب من ايقاف الصهيونيين عند حدهم في التوسع والاستيلاء على مساحات اكبر من الاراضي العربية ، الا بالسيف .

امام موقف الصهيونيين هذا وموقف الدول الغربية منه ، نجد ان موقف العرب منه ايضا هو موقف التردد والجمود مما جعل العدو المرابط على حدودنا والمستولي على اراضي ابائنا واجدادنا ينمو كالسرطان في الجسم ويجعل من بيوتنا ومقدساتنا مركزا لانطلاقه .

واذا ثبت لدينا ان العلاج الوحيد الشافي لهذا السرطان انما هو قوة السلاح وقوة الايمان بالعمل لاستئصاله ، فهل من الممكن ايجاد هذا العلاج ؟ هذا هو السؤال .

ولا يستطيع احد ان يزعم ان العرب مجتمعين يعجزون عن صنع هذا العلاج الناجع ، لان كل عناصر هذا العلاج متوفرة لديهم ، وما عليهم الا ان يركبوها في المختبر فيحصلوا عليه . ولو كان العرب غير قادرين على صنع هذا العلاج ، لكان ذلك اوفر كرامة وشرفا واقل عارا .

هذا العلاج يحتاج الى رجال اشداء وسلاح ماض . اما الرجال فيجب ان يكونوا من الفلسطينيين اولا لان عليهم يقع الواجب المقدس، واجب الفداء وسفك الدماء وانقاذ وطنهم المسلوب ، ويجب ان يكونوا في الطليعة .

لذلك يجب انشاء جيش فلسطيني كما يجب ان يعبأ هذا الجيش من جميع الفلسطينيين على السواء ، وتكون التعبئة ، اذا لزم الامر ، اجبارية بنسبة عشرة بالمئة من الفلسطينيين .

وعملا بهذا المخطط يعبأ في الاردن جيش فلسطيني مؤلف من مئة الف جندي وضابط فلسطيني ، اي بمعدل عشرة بالمئة من عدد الفلسطينيين في الاردن . ومن غزة ، فلسطين ، خمسة وثلاثون الفا ومن سوريا ، عشرة آلاف ومن لبنان ، اثنا عشر الفا ومن العراق خمسمائة الخ .. وبذلك يصبح الجيش الفلسطيني ما يزيد عن مئة وسبعة وخمسين الفا وقد قيل لي انه من السهل جدا تعبئة هذا العدد بطريق التطوع وليس بالطرق الاجبارية .

ولا بد لهذا الجيش من ميزانية ضخمة ، وهذه الميزانية تقدمها الدول العربية جميعها بنسبة ميزانياتها او مداخيلها . وفوق ذلك يوجد طرق عديدة يستطيع بها الشعب العربي بكامله المساهمة في هذه الميزانية . ولا شيء يبهج الشعب العربي ويلهب شعوره مثل ايجاد جيش فلسطيني قوي يستعد لانقاذ فلسطين .

ويكون هذا الجيش من الفلسطينيين فقط جنودا وضباطا ويصير تدريبه من قبل البلد الموجود فيه ، على ان يشرف على هذا التدريب لجنة عسكرية مشتركة عليا مؤلفة من جميع الدول العربية وهي التي تكون مسؤولة عن ارتباط هذا الجيش بعضه ببعض وتوحيد خططه واسلحته وتنظيم حركاته . وتكون هذه اللجنة العسكرية العليا تابعة لاوامر جامعة الدول العربية .

ولا يمكن لهذا الجيش الفلسطيني وحده انقاذ فلسطين بل ، كما قلنا سابقا ، يجب ان يكون في الطليعة ولا شك ان الدول العربية تستعد الان ليوم النزال .

اما فوائد هذا المشروع الخطير فكثيرة جدا .

١ ـ رفع علاج قضية فلسطين من حيز القول الى حيز العمل .

٢ ـ رفع معنويات الفلسطينيين والعالم العربي بأجمعه مما يلهب قلوبهم ويستثير هممهم .

٣ ـ يرجع ايمان العرب بأنفسهم وبقوميتهم وبوحدتهم لان اشتراك الدول العربية جميعها في انقاذ فلسطين لاحسن دليل على هذه القومية وعلى هذه الوحدة المنشودة .

٤ ـ تأثير هذا العمل على العدو ومناصريه الذين لا يؤمنون الا بالقوة ... وغيرها كثير .

يؤمن الفلسطينيون وهم على يقين ان معالجة قضية فلسطين عن غير طريق القوة هي معالجة فاشلة ، وعلى جميع اللجان الحكومية العربية المختصة بمعالجة هذه القضية ان تظهر هذه الحقيقة الى الجامعة العربية المسؤولة عن قضية فلسطين ، واذا تخلفت عن ذلك فتكون قد تخلفت عن اداء الامانة الموكلة لها . ونحن على يقين ايضا ان الفلسطينيين تواقون للاستشهاد على ارض الوطن اذا اتيحت لهم هذه الفرصة الغالية .

واخيرا يذكر الجميع كيف هبطت ثقة الشعب العربي بحكوماته السابقة سنة ١٩٤٨ لتخاذلها في انقاذ فلسطين من ايدي المستعمرين والصهيونيين ، وقد نتج عن ذلك ثورات شعبية عربية اطاحت بتلك الحكومات وبزغ عنها حكومات فتية تعشم الشعب العربي منها خيرا عظيما لفلسطين المعذبة .

وقد مر على هذه الثورات السنون العديدة ، والفاجعة لا تزال في وسطنا وامام اعيننا وابتدأ اليأس يدب في نفوس المواطنين مما يشكل خطرا جديدا يجب التنبه اليه . »

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

حــين افـكر

محمد الهادي بوفـرة

تـونـس

حـين أفكـر
في أن الارض بلا حب تصبح أصغر
اشعـر بالغثيـان
وأحس بشيء في صدري يتحجر

حـين أفكـر
في أن الحب كما يكبر .. يصغر
تخلع أشباح الماضي باب مخيلتي
أتـذكـر ..
اتـذكـر ..
اني أحببتك فوق مدى كل تصور
ومنحتك أخصب ما في العمر .. واكثر
فامد يدي للجهة اليسرى من صدري
ألمس جرحا .. وبقية خنجر

حـين أفكـر
أن مساحة عيني من الدمعة أصغر
امضغ قلبـي ..
يؤلمني الجرح .. وأصبر
ويظل فؤادي من غدرك اكبر

حـين أفكـر
فيك .. وفي الحب .. وأشعر
أنك كنت معي امرأة لن تتكرر
املأ كأسي من خابية الحزن ... وأسكر
وأسائل قلبي ان كان يصدق
أن هواك الكذاب سيصدق حقا
لمـا قال سيفنيني .. وسيبقى

حـين أفكـر
وأرى حبك في صدري يتبخر
وارى قلبي كالنسر المذبوح.. برغم الجرح يحلق
تستهويني الرحلة للمطلق
للافق الارحب .. والاكبر
في محبرة .. في بحر الحبر الازرق
كي أبحث عن حرف
لا يعرف فـن الوصف
بل يهدم كل الارض اذا شاء .. ويخلق

حـين أفكـر
أعرف أنك من حبي أصغر ..

الدكتور حكمت أبيض اللون شاب بانتصاب قامته وصفاء صوته وقوته وبريق عينيه وحركات يديه وشاربه الاسود الصغير . نظارتـــه غاليـة الثمن جميلة الشكل تنسجم مــع شبابه وشهادته الجامعية . وهـو محبوب مشهور بين الناس ببراعته في اجراء العمليات الجراحيـة وان كان يأخذ عليها اجـرة لا يحتملها الفقراء من المرضى .

(الدكتور حكمت يهمه ان يـأخذ من المرضى مبلغا ضخما مـن المـال لقاء اتعابه واهتمامه بهـم ليعوض نفسه مما انفقه من ماله في الجامعة قبل ان يفوز بشهادتها . وهو يرى انه نال كل حظه من الثقافة ما دام قد قرأ كل الكتب الطبية التـــي قررتها ادارة الجامعة التـي تخرج فيها . ويرى ان مطالعة الكتـب الادبيــة والفلسفيـة والاجتماعية اضاعة لوقته الثمين . انـه يتكلم بصوت منخفض مهذب ، ولكنهحينما يغضب يتحول الى وحش ضـار لا يقيم للآداب وزنا) .

انيس اخوه في اول شبابه . انه يدرس في الصف الثالث الثانوي . وهو طموح كأخيه . يريد ان يصبح طبيبا مثله ولاسيما حينما تقع عيناه على ذلك العدد الكبير من المرضى في عيادته . وقد انبأه الدكتور حكمت انه على أستعداد للانفاق عليه مـن ماله الخاص حتـى ينال شهـادة الجامعة .

(انيس اختار الطب مهنـة لان اقاربه ومعارفه يزينون تلـك المهنة له ويحرضونه على مزاولتها لا لانـه برغب فيها ويؤثرها على غيرها من المهن . انه يميل الى المهـن اليدوية اكثر مما يميل الى المهن المريحة . وهو يطمح الى ان يكون مبتكرا في ميدان من ميادين الصناعـة ليعرف اسمه في خارج بلاده) .

كمال رجل متفوق فـي اصلاح الغسالات والثلاجات . انه ثري وان كان يقضي معظم نهاره مرتديا بدلة كاكية القماش ، ومعتز بنفسه وان كان منهمكا في فك الالات وتركيبها. وهو يرى في كثير من الاحيـــان جالسا على كرسيه وقد وضع رجلا على رجل وراح يدخن غليونه الضخم الطويل الساق في كبرياء وهـدوء وبلا مبالاة .

(كمال رجل محترم بين الناس وفي نفسه لانه يسعف الناس فـي اوقات الضيق فيصلح غسالاتهم وثلاجاتهم . وهو وان كان لا يلبي طلبات عدد كبير منهم غير انه يرضي عددا قليلا منهم كل الارضاء . وهذا العدد كاف لان يبث دعاية طيبة له في المجتمع . انه يقوم بالاشغال التي يقوم بها العامل ، ولكـن ثقافتـه وحديثه وافكاره تدل على انـه مفكر

مصلح الغسالات

بقلم عبد الحميد الانشاصي

كبير مستنير العقل متين الخلق).

لقد تضايق الدكتور حكمت كثيرا من الغسالات . اشترى منذ ثـلاث سنوات غسالة عانى مرارة نفسيـة محزنة بسببها لانها كانت تتوقف عن العمل من حين الى آخر . ولم يكن العمال مخلصين فـي اصلاحها . فاضطر الى بيعها وشراء غسـالة اخرى خيرا منها . ولكن لم تلبث هذه الغسالة ان توقفت عن العمل كتلك . فحار في امرها . واخيرا دله احد اصدقائه على كمال مثنيا على هذا ومعددا محاسنه .

قصة

قال الطبيب لاخيه :

ـ اذهب يا انيس الى كمال وانبئه بما جرى للغسالة .

ـ ولكنني اخشى يا اخي ان القى من المصاعب معه مثل تلـك التي لقيتها مع غيره من معلمي الغسالات، فانني ما زلت اذكـر ثلاثـة منهم اذاقوني عذابا اليما بغيابهم عـن محالهم . وكان الاجراء الذين تركهم معلموهم في تلك المحال يعدونني بانباء معلميهم بحضوري لمقابلتهم في شأن الغسالة ، ولكنهم لـم يفعلوا ذلك . ومرارا اجتمعت الى المعلمين انفسهم فأقسموا لي بأنهم سيذهبون الى منزلي لاصلاح الغسالة ، ومنهم من اعطوني وعدا بذلك . ولكنهم لم يحضروا .

(ليتك تذهب انت الى كمال لعله يكترث لك ويلبي طلبك احتـرامـا لك) .

فابتسم الدكتور حكمت ابتسامة رجل خبير لغلام غرير ، وقـال بنفحة واثقة :

ـ ولكن كمالا يختلف عن غيره من معلمي الغسالات ، وانني على يقين بأنه سيحضر الى المنزل لاصـلاح غسالتنـا .

(انك ما زلت ضئيل الحظ مـن الخبرة) .

فقال انيس جامد الوجه :

ـ سوف ترى معاملته . انـه لا يختلف عن غيره .

فاعتدل اخوه في وقفته ، ورفع رأسه قائلا :

ـ قل له : « لقد ارسلني اليك اخي الدكتور » فيهتم بالامر .

(ان فشلت في ذلك ذهبت انا اليه واشبعته لوما) .

ـ سأذهب اليه غدا .

(ولكنني لا اريد ان اقول له : « لقد ارسلني اليك اخي الدكتور ». ينبغي له ان يحترمني والا فلا) .

عاد انيس الى اخيه بجسم ذابل ونفس يائسة . قال له اخوه :

— ماذا فعلت ؟

— قابلت كمالا وانبأته بأمر الغسالة ، ولكنه قال بنغمة غير مكترثة : « احضر الغسالة الي لافحصها » .

(ان هذا رجل متكبر لا يطاق) .

فدفع الطبيب رأسه الى الوراء في اباء ثم قال :

— نحضر الغسالة اليه ! هه ! ولم لا يأتي هو الى المنزل ؟

(ان الطبيب يذهب الى منازل المرضى . هل هو خير من الطبيب ؟)

فمط انيس شفتيه في نفور ثم قال :

— دعنا منه يا اخي . انه متكبر جدا . لم ار في حياتي رجلا بلغ من الكبرياء ما بلغه منها ذلك الرجل .

— هل قلت له : ان اخي دكتور ؟

(ان عاملا كهذا بحاجة الى تهذيب) .

فهز انيس كتفيه قائلا :

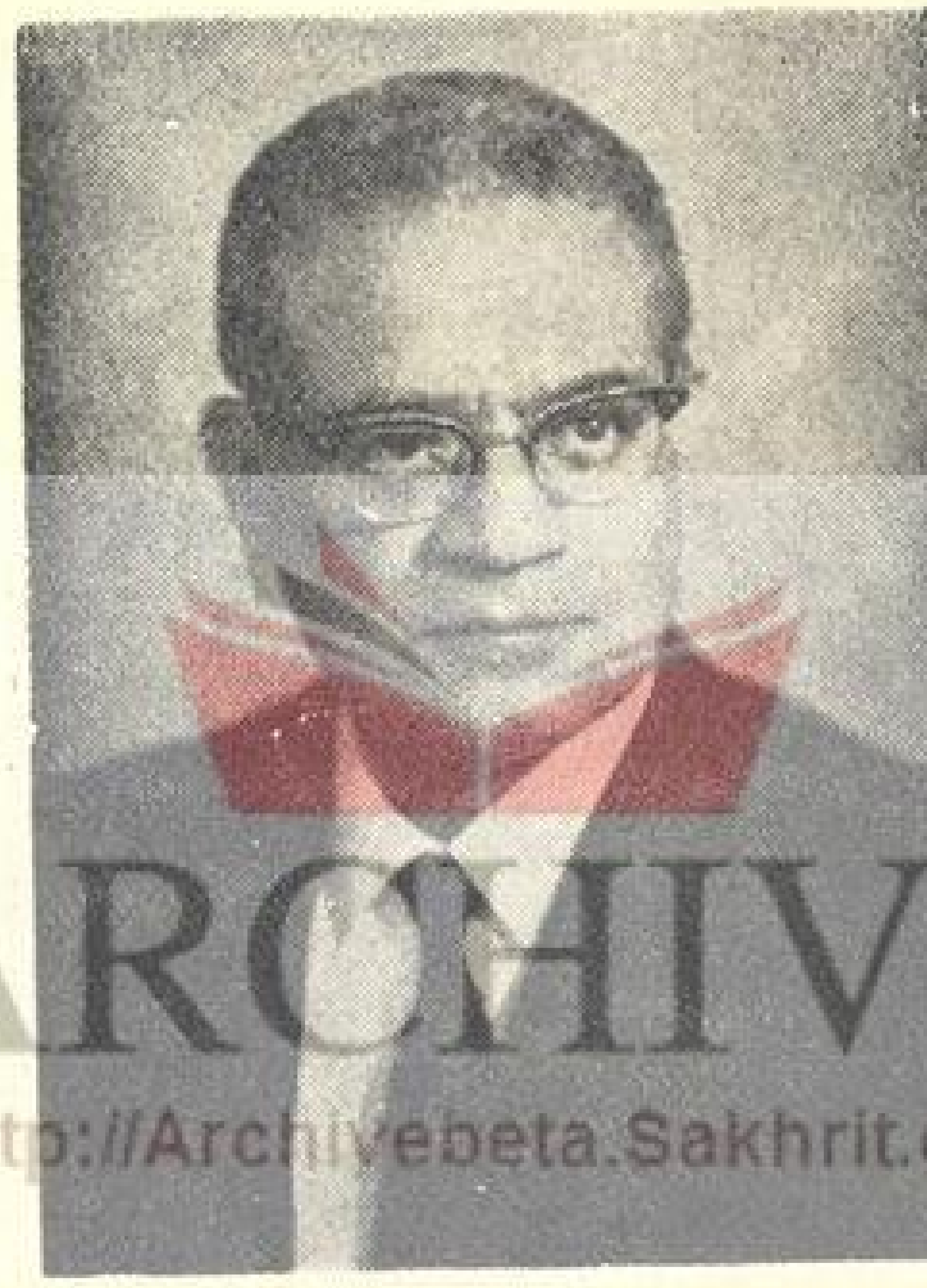
— خير لك ان تذهب انت اليه وتعلمه بأنك دكتور فيحسب لك حسابا . (اعتقد انه سيتكبر عليك كما تكبر علي) .

ذهب الدكتور حكمت الى محل كمال فوجده جالسا على كرسي متواضع واضعا رجلا على رجل وفي فمه غليونه الضخم كعادته . وكان المحل حافلا بألوان الغسالات والثلاجات . وكمال يفخر بوجود ذلك العدد الضخم منها في محله . ان هذا يدل على مبلغ حاجة الناس اليه . ليس في محله بضائع يبيعها كما يفعل معظم التجار ، ولكن فيه اجهزة وآلات يصلحها . وهذا شيء نادر لانه يحتاج الى براعة وفكر . ان المحل يبدو قذرا ، فالارض متسخة لكثرة جر الغسالات والثلاجات عليها . وهناك طاولة بالية المظهر تراكمت عليها عدد مختلفة الاشكال والحجوم ، وبراغي وعجلات صغار ، وقطع من المطاط والآلات . وكان هناك ثلاثة من العمال يعملون في هدوء بعيدا عن معلمهم . وكانوا مرتدين ملابس كاكية زرق كملابس المعلم .

وحينما دخل الدكتور حكمت المحل كان الشخص الوحيد الذي بدا نظيفا فيه . القى السلام على كمال ، فنهض هذا اليه في بطء وهدوء وهو يسرح نظره في وجه الطبيب متعرفا . لم يقدم الدكتور نفسه اليه موقنا ان مظهره يدل على حقيقته . اشار كمال الى كرسي بجانبه قائلا بصوت منخفض :

— تفضل !

جلس الطبيب وهو يجيل بصره في انحاء المحل وفي الغسالات والثلاجات المصفوفة فيه ، ثم التفت الى كمال قائلا :



عبد الحميد الانشاصي

★

— في منزلي غسالة توقفت عن العمل ، فهل تسمح بالذهاب الى منزلي لاصلاحها ؟

فأجابه كمال بعد برهة اوهمت الطبيب ان الرجل قد اعتزم بعد تفكير ان يذهب معه الى المنزل :

— لا بد من احضار الغسالة هنا لافحصها .

(كلكم تريدون ان اذهب الى منازلكم ، الا تعلمون ان ادوات الفحص ثقيلة لا يمكنني ان احملها معي ؟)

— الا يمكنك ان تذهب الى المنزل ؟

(أتتكبر حتى علي ؟)

فأجابه كمال بحركة مؤكدة من راسه :

— كلا . ان ادوات الفحص هنا ، ولا يمكنني ان آخذها معي . فرفع الطبيب حاجبيه بعد ان ادرك الحقيقة وقال :

— معقول .

وبعد هنيهة قال كمال :

— انني لا اصلح غسالة او ثلاجة بدون ان افحصها فحصا دقيقا لكي اتمكن من ان اصلحها اصلاحا مضمونا .

فقال الطبيب :

— هذا ما يجب ان يفعله كل مصلح للآلات :

(اعتقد انك مصلح خبيربمهنتك) .

— ينبغي للانسان ان يقوم بعمله في امانة .

(انا لا آخذ نقودا لا استحقها) .

— اجل . اجل . انك لتقول الحق .

ثم طلب كمال للطبيب فنجانا من القهوة . وقال هذا :

— كان لدي غسالة اصلحها بعض العمال اصلاحا لم يدم شهرا او شهرين . واخيرا سئمت منها فبعتها واشتريت غسالة اخرى خيرا منها . ولكن الغسالة الثانية خربت كالاولى .

فابتسم كمال ابتسامة واسعة ادخلت الانس على قلب الطبيب ثم قال :

— ان معلمي الغسالات والثلاجات في المدينة قليلون جدا ، وهم لقلتهم يعرفون كيف يستغلون المحتاجين اليهم من الناس . ولا اكون مبالغا اذا قلت لك ان معظمهم لا خبرة لهم باصلاح الثلاجات والغسالات . انهم اجراء . عملنا شاق يتطلب خبرة وبراعة كبيرتين . وليس كل مصلح

للغسالات والثلاجات يوثق به .

(انك شاب كبير ، وجدير بك ان تكون خبيرا بالناس) .

فهز الدكتور حكمت رأسه موافقا وقال :

ــ هذا صحيح . ان ما تقوله لصحيح .

(لا شك انك تختلف عن اولئك المصلحين الكاذبين) .

وقدم فنجان من القهوة الى الدكتور ، فراح يحسو القهوة في هدوء . وقال كمال مشيرا الى الغسالات والثلاجات التي في محله :

ــ **انظر الى هذه الغسالات والثلاجات . انها كثيرة وكثرتها تدل** على ان اصحابها يثقون بي .

وبعد هنيهة من الصمت واصل كلامه :

ــ انني لم اتلق درسا واحدا في اصلاح الغسالات والثلاجات على يد احد من المعلمين هنا .

فأمعن الدكتور نظره في كمال ثم قال :

ــ اين تعلمت مهنتك اذن ؟

ــ في اوروبا . انني جامعي . لدي شهادة جامعية في الكهرباء واخرى في الميكانيك .

ــ حسن ! ممتاز !

(ان هذا لم يخطر ببالي من قبل)

ــ لقد قلت لك ان هذه المهنة تتطلب خبرة وبراعة عظيمتين . انها تقوم على اساس من الرغبة والموهبة والتفكير . انها اهم في نظري من الطب . ان الطبيب يفحص اناسا يعاونونه على تشخيص امراضهم . اما انا فافحص آلة بكماء لا تساعدني على معرفة علتها . والطبيب يعالج اجساما متشابهة في تركيبها . اما انا فأعالج آلات مختلف بعضها عن بعض في الانواع والتراكيب .الطبيب يداوي اناسا احياء ، ولا يمكنه ان يعيد اليهم الحياة اذا ماتوا . وانا اصلح اجساما ميتة ، ثم اعيد اليها الحياة فتعمل في نظام اليس كذلك ؟

(انني اعظم شأنا من الطبيب وان كنت لا تعتقد ذلك) .

صوب كمال الى الدكتور نظرة طويلة ثابتة منتظرا جوابه بالموافقة. ولكن الدكتور حكمت لم يجب . لقد شعر بنخسة مؤلمة في قلبه . ان كلام مصلح الغسالات جارح لا يطيقه .

وبعد برهة اجاب الدكتور في ابتسام مسايرا الرجل بغية ان يأخذ حاجته منه بعد اصلاح الغسالة :

ــ جميل ان يثق الانسان بنفسه ان كلامك فيه طرافة وصراحة .

تشجع كمال وازداد حماسة ، ثم واصل كلامه :

ــ انني لست مصلح ثلاجات وغسالات فحسب بل انا مفكر اهوى التفكير والابتكار . انني احاول ان ابتكر نوعا جديدا من الغسالات ارخص ثمنا واطول عمرا من غيره من انواع الغسالات . فما قولك ؟

(الان تعتبرني اعظم شأنا من الطبيب) .

والقى الرجل يديه على ركبتيه في قوة محدثا صوتا عاليا . ورفع الدكتور حكمت حاجبيه اعجابا ثم اجاب :

ــ هذا شيء يسرني . انني اشعر بفخر حينما تبتكر بلادي شيئا يقدم الى العالم . هذا يجعل الوطن يفخر بك .

(انني لم اكن اظن انك في هذه الدرجة من الاهمية) .

ــ وازيدك علما ان الغسالة التي احاول ان ابتكرها هي الان في المرحلة الاخيرة من مراحل تركيبها.

ــ رائع جدا ! اؤكد لك انني سوف اكون من الاشخاص الاوائل الذين يشترون غسالات من ابتكارك .

وهنا ادخل عاملان ثلاجة في محل كمال لاصلاحها ، فنهض الدكتور حكمت قائلا :

ــ استأذنك في الانصراف . غدا ارسل اليك الغسالة .

في اليوم التالي نقل انيس الغسالة بشاحنة الى محل كمال . ولم يكن انيس في هذه المرة متذمرا من كمال فقد اقنعه اخوه بأن ذلك الرجل محترم خبير باصلاح الغسالات وانه **واسع الثقافة عميق التفكير .**

اخذ كمال يفك الغسالة ويفحصها بدقة واهتمام . وكان انيس في اثناء ذلك يتتبع حركات كمال في لذة واستطلاع . ظل واقفا بجانب الرجل يراقبه حتى اتم عمله واخيرا وصل السلك الكهربائي بالغسالة ، فدارت في قوة وانتظام . فارتاح انيس الى عمل الرجل واعجب به ثم قال له :

ــ الان الغسالة في حالة جيدة . **شكرا لك !**

ثم نقده اجرة اصلاح الغسالة . وسأله كمال :

ــ هل انت احد اقرباء الرجل الذي جاءني امس وانبأني بتعطل الغسالة ؟

ــ هل تعني الدكتور ؟ انني اخوه .

فوضع كمال كفه على جبهته عابس الوجه ، ثم قال بعد قليل :

ــ وهل اخوك طبيب ؟ انني لم اكن اعلم ذلك .

فاستغرب انيس ذلك منه وقال :

ــ ماذا جرى بينكما ؟

(هل اسأت الى اخي ؟)

ــ لا شيء . لا شيء .

(انك غلام . فما لك ولهذه الامور ؟)

وقبل ان يعود انيس بالغسالة الى منزله قال له كمال :

ــ هل انت تلميذ في مدرسة ؟

ــ اجل .

ــ بأي شيء تريد ان تتخصص في المستقبل ؟

ــ بالطب .

ــ بالطب ؟ اتريد ان تكون طبيبا كأخيك ؟ هذا خطأ . كل تلميذ يريد ان يكون طبيبا . والميكانيكيا تترك لمن ؟ اننا الى ابتكار الآلات والادوات احوج منا الى مزاولة الطب . نريد ان نكون امة عاملة خلاقة تشارك

جراح

★

بعض الشجون ، دواء أيها العدم — وبعضهن عذاب ، فاجـر ، نهـم
أشتاق للنغم المجروح ، أرشفـه — لو يستفيق على آلامي .. النغم
وكم تمنيت أن أغفو ، ولـو حلما — على يديك ، فلم يسعدني الحلم
يا غربة الروح، في صحراء متعبة — قلبي ، كقلبك ، أفنى ليله السأم
مضيع أنـا في دنياي ، مغتـرب — يهدني الارق المحموم ، والنـدم
والذكريات، وهن الطيب، حشرجة — حمراء ، يقطر منها السهد، والالم
هـذي حياتـي ، مأساة مروعة — وجمرة، في حنايا الصدر، تضطرم
أحبها ، فهـي جنات معطـرة — وللجنان ، حديث شيق ، وفـم
أتسألين فؤادي ، عـن تمزقـه — لا تسالـي ، فجراحي كلهـن دم
أقتات بالشجن القتال ، محتدما — وبالحنين ، لعل الجرح.. يلتئم
ويا جراح فؤادي ، أنت أغنيـة — غنيتها ، والليالي السود تبتسم
لا تتركيني في البيداء ، محترقـا — وهدهديني ، حتى يذهب السقم

سليمية ـ سورية — أنور الجندي

الامم الاخرى فـي مصنوعاتهـا وابتكاراتها لا امة قانعة متخلفة .

فكر انيس مليا ثم قال :

ـ انني اميل الى المهنة التـي تمارسها ، ولكنني افكر في ممارسة الطب . (لا شـك ان كل ما قلته منطقي وصحيح) .

فضرب كمال فخذه بكفه تألما ثم قـال :

ـ وكيف تمارس عمـلا لا ترغب فيـه ؟

ولكن انيسا اجاب بالصمت . فقال كمال :

ـ مالك صامتا ؟ لماذا لا تجيب ؟ الا تملك حرية اختيار المهنة ؟

ـ بل املك الحرية ..

(سوف افعل ما يحلو لي) .

ـ واذن فاتخذ الكهرباء والميكانيك مهنة لـك كمـا فعلت انـا . لقـد اقنعت اخاك بأن مهنتي اعظم شأنا من الطب . ان هذه المهنة تدر على صاحبها مالا لا يقل عن المـال الذي يدره الطب على الطبيب . فاتحه بهذا الشأن ، وانا على يقين بـأنه سيشجعك على ذلك .

فقال انيس مقاطعا كلامه في ابتسام وهو يهز رأسه :

ـ لقد سرد علي اخي ما دار بينك وبينه من حوار . علمت منه كـل شيء عنك . (انـك رجل واسع الثقافة عميق التفكير ولست عاملا بسيطا كما توهمت) . ثم القى امامه نظرة طويلة مفكرة .

(منظر في الداخل : يتجول بين آلات مستمعا الى حديث استاذ وهو يشرح له تركيب تلك الآلات وكيفية استعمالها . وقد تأبط كتابا ضخما في علم الميكانيكيا) .

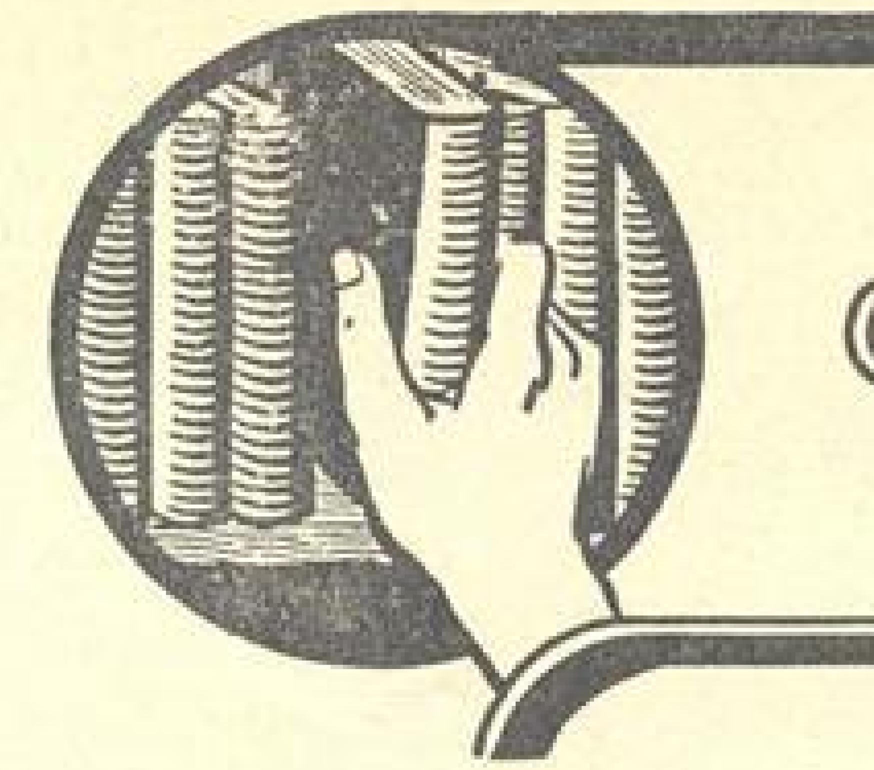
(اصوات من الداخل : لقد عدلت عن عزمي يا اخي . اريـد ان اكون كهربائيا وميكانيكيا مثل كمال .انني ارغب في هذه المهنة . لقد خلقت لها . حسب اسرتنا طبيب واحد .. طبيب واحد يكفي) .

ثم التفت الى كمال قائلا :

ـ حسن ! سأنظر في الامر .

عمان — عبد الحميد الانشاصي

مكتبة الاديب



أبطـال عقيـدة وجهـاد

تأليف الدكتور أحمد الشرباصي – ٣٥٠ صفحة – منشورات مجمع البحوث الاسلامية بالازهر – طبع الشركة المصرية للطباعة والنشر بالقاهرة

الاستاذ الدكتور أحمد الشرباصي باحث اسلامي جليل ، صال قلمه الواعي الرشيق بين مجالات عديدة من ميادين الفكر الاسلامي ، وقدم لمكتبتنا العربية الاسلامية كثيرا من الابحاث العلمية التي هي موضع تقدير واجلال من جمهرة القراء في ارجاء العالم الاسلامي ، وقد وهب عقله وقلمه ولسانه لرفع لواء الاسلام ولدعم الدراسات العربية .

وهو اليوم يضع لبنة جديدة في بناء (المكتبة الشرباصية) ، فيقدم لنا بحثا تاريخيا قيما بعنوان « أبطال عقيدة وجهاد » . وقد اعتدنا دائما ان نرى الدكتور الشرباصي يعيش مع الاحداث الجارية ، ويشارك الامة الاسلامية آمالها وآلامها . والعرب والمسلمون اليوم يعيشون فترة جهاد وكفاح ، ويتهيأون لمعركة التحرير ، ويأملون في نصر قريب . ولا يقوم جهاد ، ولا يتحقق نصر الا على أسس وطيدة من ايمان عميق ، وعقيدة صادقة . والعرب والمسلمون اليوم في حاجة ماسة الى أسوة وقدوة ، اكثر من حاجتهم الى وعظ وارشاد ، او الى كلمات حماسية رنانة ، فالشعور معبأ ، والعزائم متقدة . ولذا فنحن في حاجة الى مثل عليا من تاريخنا الاسلامي المجيد ، ترسم لنا معالم الطريق الى الجهاد والنصر .

وكتاب الدكتور الشرباصي يربط بين العقيدة والجهاد ، ويقدم لنا صورا مشرقة لثلاثة وعشرين بطلا من أبطالنا الامجاد ، ليخطو الابناء والاحفاد خطوات الآباء والاجداد . واستطيع ان اقول ، ان هذه هي المرة الاولى التي يتناول فيها قلم اسلامي سير هؤلاء الابطال المجاهدين بأسلوب العصر ، وعلى أسس علمية منهجية . وبذلك يكون المؤلف الفاضل قد حقق عدة اهداف نبيلة في وقت واحد ، فقد قدم للمسلمين الاسوة الصالحة ، وكشف النقاب عن تاريخ شخصيات اسلامية مجيدة ، ظلت دهرا تبحث عن مؤلف يسلط الاضواء من جديد عليها ، فينصفها ويخرجها من زوايا النسيان ، كما قدم المؤلف الى مكتبتنا التاريخية بحثا جديدا شيقا .

والمؤلف النابه يبدأ سير أبطاله باطلاق صفات عليهم تبلور جوانب حياتهم ، وتبرز ما اشتهروا به في ميادين الجهاد . فهو يصف ثمامة بن أثال الحنفي بانه « المؤمن الثابت الشهيد » . ويصف خلاد بن سويد بانه « الشهيد صاحب الاجرين » ، ويصف الحارث بن هشام المخزومي بانه « الشهيد الذي لا حساب عليه » . وغير ذلك من الصفات التي تهيىء ذهن القارىء ، وترسم له أبعاد الشخصية .

اتبع الدكتور الشرباصي – كعادته دائما – المنهج العلمي في البحث التاريخي ، فهو لا يعرض صورا متلاحقة لمجاهدين وأبطال ، بل هو في الحقيقة يقدم لنا بحثا علميا ، ودراسة تاريخية عميقة ، ويذكر مصادره في حواشي البحث . كما حوت الحواشي شروحا لغوية ودينية تتم الفائدة العلمية ، والحق المؤلف بكتابه قائمة طويلة للمراجع والمصادر . وناقش المؤلف كثيرا من الحقائق والآراء التاريخية ، وأزال غموضا وابهاما اكتنف سير بعض هؤلاء الابطال ، اذكر منها – على سبيل المثال – تحقيقه موعد وظروف اسلام ثمامة الحنفي ، وتأكيده عروبة صهيب بن سنان الذي اشتهر بالرومي ، ولست في حاجة الى الاشادة بأسلوب المؤلف السلس الشيق الجذاب ، فهو معروف لنا جميعا .

والكتاب في الحقيقة ليس كتاب سير وتراجم ، بل كان هؤلاء الابطال المجاهدين محاور لدراسة علمية قدمت لنا تاريخا متكاملا لعصر صدر الاسلام ، فنجد بين دفتي الكتاب دراسة تاريخية شاملة تصور عصر الرسول عليه الصلاة والسلام وعهود خلفائه الراشدين .

ولقد ضربت الشخصيات المجيدة التي انتقاها المؤلف امثلة رائعة للجهاد والفداء ، ولولا تخصصنا في الدراسات التاريخية ، ولولا ذكر المؤلف لمصادره لاعتبرناها أساطير خيالية صاغها المؤلف لاثارة الحماس للفداء ، واذا كان هذا شعوري كقارىء وناقد ، فقد كان ايضا شعور المؤلف حين خط كتابه ، فقد قال عند حديثه عن عياش بن ربيعة الذي سماه المؤلف (الشهيد الظامىء) : « لو ان هذه المواقف البطولية التي وقفها اصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام خيالية ، صورها اديب أو قاص ، لاثرت في نفوس ذوي المشاعر والاحاسيس ، فكيف وهي حقائق ثابتة ، شهدها الزمن ، ووعاها التاريخ » .

والمؤلف لا يعيش في كتابه في الماضي فحسب ، بل هو يربط دائما بين أحداث الماضي وظروفنا الحاضرة ، ويجعل الماضي المجيد نورا يضيء طريق المستقبل السعيد . ويتضح هذا المنهج في كل فصول الكتاب . والى القارىء مثلا واحدا ، فالمؤلف حين يتحدث عن « الشهيد صاحب الاجرين » أي خلاد بن سويد ، يقول : « واعداؤنا اليوم هم اعداؤنا بالامس القريب ، وهم اعداؤنا بالامس البعيد ، وهم اعداؤنا منذ أشرق نور الاسلام : هم قتلة الانبياء ، اليهود الاخسة اللئام ، وليتنا نتذكر ونعتبر ، وليتنا نمسي ونصبح ، ولا شاغل لنا سوى تحرير دارنا ، وغسل عارنا ، وأخذ ثأرنا .... » .

والمؤلف الفاضل يشير الى من يكتفون في ظروفنا الراهنة بالتشدق بالكلمات الجوفاء ، والشعارات البراقة الكاذبة ، فيقول : « نفهم من التنزيل الالهي الحكيم ان ضخامة الاقوال مع ضآلة الاعمال من شيم أهل النفاق ، فانهم في الاجسام هامات وقامات ، ولهم في مجالات الكلام صولات وجولات ، ولكنهم أمثلة مؤسفة للجبن والخور ، فهم أخطر الفئات على المجتمع .... » .

ثم يذكر المؤلف هؤلاء المتشدقين المنافقين المعاصرين ، بتاريخنا السالف المجيد فيقول : « لقد شاهدت الدنيا في صدر الاسلام رجالا احسنوا الجمع بين القول الجميل والعمل الجليل : تكلموا فاصابوا ، ودعوا فاجابوا ، وعملوا فاتقنوا ، وجاهدوا فاحسنوا ... » . وضرب المؤلف مثلا بالشاعر ابي ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي ، الذي جاهد بلسانه وبسيفه من أجل رفعة الاسلام .

والدكتور الشرباصي رجل دين ، على تقوى وورع ، وعلى سماحة ورحمة ، ولذا يسع قلبه كل تائب ومستغفر ، ولذا نراه يدرس سير بعض من ناصبوا الاسلام العداء ، أو اساءوا الى الرسول والمسلمين ، ثم ندموا وتابوا ، وشاركوا بسيوفهم في انتصارات الاسلام ، فالمؤلف يتحدث عن وحشي بن حرب الحبشي ، ويسميه « المجاهد التائب » اذ قتل حمزة بن عبد المطلب في موقعة أحد ، ثم اسلم ، وكان من ابرز أبطال المسلمين في حروب الردة كما تحدث المؤلف عن أبي حذيفة بن عتبة القرشي وقال عنه « مجاهد يمحو زلته بالشهادة » . اما تلك الزلة فهي معارضته لامر الرسول عليه الصلاة والسلام يوم بدر بعدم التعرض للعباس ابن عبد المطلب ، الذي أكرهه المشركون على الانضمام

الى صفوفهم . وتحدث المؤلف أيضا عن الحارث بن هشام بن المغيرة بن المخزومي الذي وصفه المؤلف بالشهيد الجابر لتقصيره ، اذ لم يعتنق الاسلام الا يوم فتح مكة .

لقد كان في امكان المؤلف الفاضل ان يستبدل سير هؤلاء المجاهدين الثلاثة بغيرهم ، وخاصة من الصحابة الاولين السابقين الى الاسلام ، والى الجهاد ، وهذا في رأيي الخاص افضل ، الا ان المؤلف قصد ان يفتح باب التوبة والعودة ، لمن نراهم اليوم يتخاذلون عن النضال والكفاح والمشاركة في معركتنا التحريرية ، وأستشف هدف المؤلف في عبارات ساقها في ترجمته لحياة الحارث بن هشام المخزومي ، فقال : « اما بعد ، فليتنا لا ننسى أبدا قول الحارث : ولكنها النقلة الى الله تعالى ، فهذه النقلة واجب كل مسلم في كل وقت من مراحل حياته ، لا بد للمسلم من النقلة الى الله تعالى بتصحيح الاعتقاد ... وبالاعداد وحسن الاستعداد ... وبالاخلاص في خدمة البلاد ... وبالجهاد وبالموت او الاستشهاد ... » .

ان مستقبل الامة الاسلامية الآن هو في ايدي أبناء الجيل الجديد، ونحن كلنا نضع مسؤوليات التحرير وآمال النصر على عاتق شبابنا الناهض . والمؤلف الفاضل يقدم للشباب المسلم قدوة حسنة تتمثل في أثامة بن زيد بن حارثة الذي يسميه المؤلف « المجاهد القائد قبل العشرين » . فقد اختاره الرسول صلى الله عليه وسلم قائدا لجيش يضم كبار الصحابة الاجلاء ، امثال ابي بكر وسعد بن ابي وقاص وقتادة بن النعمان . وقد انتقد بعض ضعاف الايمان والنفوس هذا الاختيار ، ولكن الرسول الكريم ـ كما قال المؤلف ـ أراد « ان يعلم الامة ان القائد انما هو رمز ، فاذا أصبح في موطن القيادة وجب على الجميع ان يسمعوا له ويطيعوا ، وان يكونوا معه ومن ورائه يدا واحدة وجبهة واحدة وقلبا واحدا . وبذلك تتعود الامة الاجتماع على لواء الوحدة والتآلف » .

واننا وقد أصبحنا على أبواب معركة التحرير المصيرية ، فان واجب الجهاد يشمل الجميع ، رجالا ونساء . ولذا فالمؤلف الفاضل لا ينسى دور المرأة المجاهدة ، فيقدم لنسائنا في عصرنا الحاضر قدوة طيبة من أمهات الماضي ، وهي اسماء بنت يزيد بن السكن ، التي برزت بطولتها في موقعة اليرموك ، حيث قتلت بعمود خيمتها تسعة رجال من الاعداء الرومان .

وبعد ... فاني اشكر لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف حرصه على نشر هذا الكتاب المفيد ، الذي هو في الحقيقة « كتاب الساعة » ، كما اهنىء المؤلف الفاضل على بحثه التاريخي القيم وأدعوه الى مدنا بالمزيد من القدوات الحسنة التي تصور البطولات الاسلامية اذ أننا الآن في مسيس الحاجة اليها . ثم أدعو شباب الجيل الصاعد الى الاستفادة من هذا الكتاب ، فهو قبس منير يهديهم الى سبيل النصر ، والله عز وجل هادينا الى سواء السبيل .

القاهرة **علي حسني الخربوطلي**

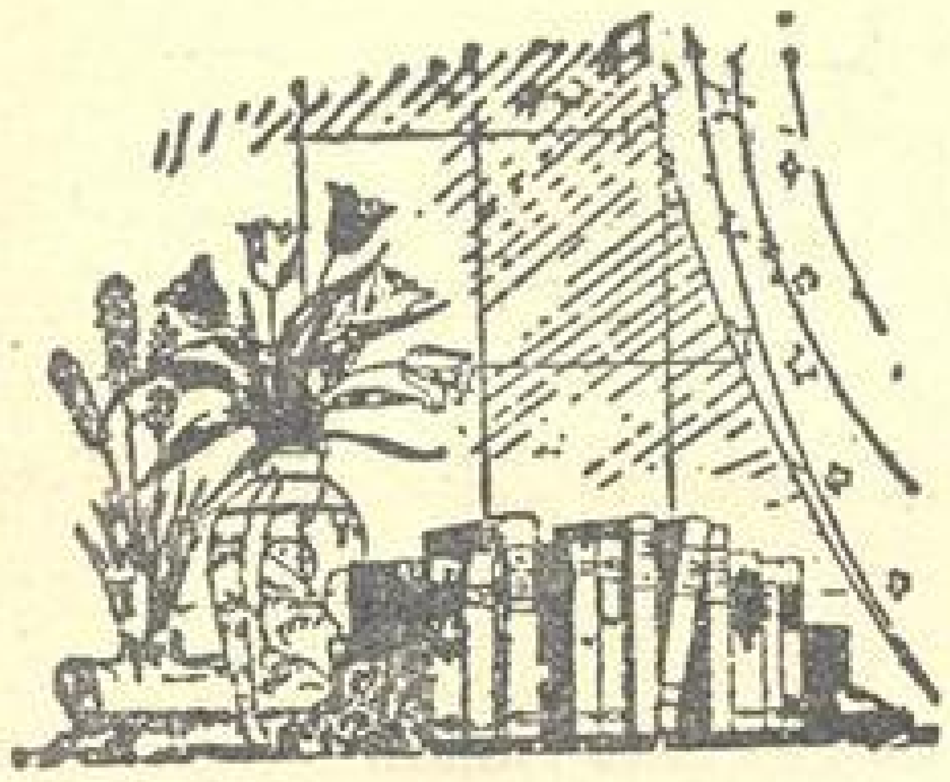
●

أعلام الجيل الاول من شعراء العربية في القرن العشرين

تأليف انيس المقدسي ـ ٤٩٨ صفحة ـ قطع كبير ـ مطبعة (؟)

باصدار هذا الكتاب (١) يتم الاستاذ المقدسي ثلاثيته في الادب العربي الحديث وقد بدأها « بالاتجاهات الادبية في العالم العربي » ، الكتاب الذي منحته الدائرة الثقافية في الجامعة العربية جائزة الدراسات الادبية ، ثم كان كتاب « الفنون الادبية واعلامها » الحلقة الثانية في الثلاثية .

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

●

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير أديب

وكما سبق له ان اختار من شعراء العصر العباسي ثمانية اعلام وضع فيهم دراسات تحليلية مفصلة في كتابه المشهور « امراء الشعر العربي في العصر العباسي » هكذا نراه في هذه الدراسات الثماني الجديدة ينتهج خطة البحث العلمي المألوف لديه واهم ميزاتها : التحقيق والمقارنة والتعليل والاستشهاد ، مقترنة بالنظرة الموضوعية وحسن التبويب ، كذلك من ميزاتها استنفاد المصادر ، مناقشة آراء اصحابها ، تسليط شتى الاضواء على الموضوع ، معالجته من كافة نواحيه بمختلف انواع النقد القديم والحديث .

يقول في المقدمة انه اختار اولئك الثمانية لا لمجرد شهرتهم بل لانه وجدهم « افضل تمثيلا للروح السائدة في عصرهم واشد تأثيرا من سواهم في حياة مجتمعهم » . ان دارس الكتاب لا يشك في ان المؤلف وفق في الاختيار اذ جمع في كتابه المثلث المصري : شوقي ، حافظ ، مطران . والثنائي العراقي : الزهاوي والرصافي . واثنين من ابرز المخضرمين اللبنانيين : شبلي ملاط وبشارة الخوري . وابرز شعراء المهجر : ايليا ابو ماضي ، الذي حصر انتاجه في الشعر في حين غلب النثر او الشعر المنثور على زملائه الكبار من اعضاء « الرابطة القلمية ».

يلفت النظر في هذه الدراسات عدة امور . احدها ما استطاع المؤلف جمعه حول الشاعر من اخبار طريفة وشواهد عيانية وتجارب حية تلقي اضواء كاشفة على شخصيته وشعره . يروي ، مثلا ، ما نشره بشارة الخوري في جريدة « البرق » عن لقائه الاول بشوقي . وما كتبه الريحاني من انطباعاته حول الرصافي . وما ورد لطه حسين من حديث عن خليل مطران في جريدة « السياسة » .

ثانيا اهتمامه بجمع شواهد تبرهن على ميزة شعرية او صفة خاصة ينفرد بها كل من هؤلاء الثمانية . هناك قائمة من الالفاظ القديمة التي احياها شوقي في شعره ، وامثلة متعددة تعبر عما اسماه المؤلف بالتوهج الشعري الذي يميز امير الشعراء . وقائمة بأمثلة من « سقط المتاع » في شعر الزهاوي واخرى بالالفاظ الحوشية التي عثر عليها في شعر الرصافي . هذه القدرة على الجمع والتحقيق الذي يستهدف اقناع القارىء ظاهرة نتبينها في سائر كتب المؤلف النقدية .

ثالثا ـ توسعه في تحليل الفن الشعري عند كل منهم وغالبا ما يصدر هذا التحليل بتمهيد في فلسفة النقد الحديث ينتقل منه الى عرض مزايا الشاعر وعيوبه ، متناولا وجوه تقليده وتجديده ، في الموضوع والمعاني والاسلوب والالفاظ .

ولا تفوتنا الاشارة الى توفيقه في اختيار القصائد التي يتبع بها كلا من الدراسات ، فانها فضلا عن تمثيلها لاتجاهات الشاعر ووجوه تأثيره في حياة عصره ، تدل على رهافة ذوق سبق ان لمسناها في مجموعته « المختارات السائرة » .

ولعلنا لا نخطىء اذا قلنا ان هذا الكتاب يعد بين الدراسات الكثيرة التي تناولت اعلام الجيل الاول من شعراء القرن ، اقربها الى الموضوعية واوفاها تحقيقا .

---

١ ـ صدر في حزيران ١٩٧٢ .

روز غريب

•

جذور العربية فروع الحياة

تأليف الدكتور فيكتور الكك والدكتور اسعد علي ـ (؟) صفحة ـ مطبعة (؟) ـ توزيع المكتبة الشرقية ببيروت

اللغة ، كائن حي ، تولد وتنمو وتموت . هي كالانسان ، في مراحل حياته . همها البقاء ، ولا بقاء لها الا بالانسان . من هنا كانت اللغة انسانا ، ماضيا وحاضرا ومستقبلا . وبقدر ما ترتبط اللغة بالانسان ، ترتبط بالحياة .

اللغة الحية تنشأ معنا ، تعيش معنا ، معنا تأكل ، ومعنا تشرب، لا تبتعد عنا ، حتى في نومنا ، بها نحلم ، وبها نفسر احلامنا .

ولغتنا العربية ، هي نحن ، بمستوانا الفكري الحياتي تعيش ، وبقدر ما يكون هذا المستوى كبيرا تكون لغتنا ...

عبقرية هي ، لها جذورها التي يتعلق بها ماضي تراثنا .

عبقرية هي ، تنمو بحاضرها الذي يأبى الا التعملق والانفتاح والاحتواء الحضاري ، لتصير بمصاف الرحلة الى القمر ، علما وتطبيقا ، بالاضافة الى النغمة الحلوة ، نثرا وشعرا .

عبقرية هي ، تفتح نوافذ على المستقبل الذي نريده عظيما عظمة آمالنا ، ومواكبتنا للحضارة الشاملة .

لذا ، كان كتاب « جذور العربية فروع الحياة » للدكتورين فيكتور الكك واسعد علي .

هذا الكتاب العبقري ، اطلالة جديدة على العالم الثقافي واللغوي. يكبر فينا اللغة العربية ، يعملقها ، يجعل لها ابعادا مديدة ، ينتشلها من الدامس المتحجر ، يوقظها على النور ، يجعلها تحيا في القلوب والضمائر ، في العيون والآذان ، على الالسنة والاقلام . يبدع فيها الاصيل ، يزيد الاصالة عمقا وترسخا ، يحيي الحياة بها قارتين ، كالارض اتساعا ، ف ـ القول ينشىء الحياة (قارة القول (١)) ، وكالفضاء عمقا ، ف ـ الحياة تنشىء القول (قارة الحياة (٢)) ، ولكلتا القارتين تضاريس في جغرافية الكلمة .

وتضاريس الكتاب في جغرافية الكلمة ، اثنان : الرجل ـ الكاتب ـ ، والابداع ـ الكتابة والانشاء ، النثر والشعر ـ .

اما الرجل ـ الكاتب ـ ، فلا خلاف عليه ، هو المركز الرئيسي « لكرة الابداع (٣) » منه تنطلق الذبذبات موجات صوتية كلامية ، او صورا بالحروف لتنشىء حياة .

اما الابداع (الكتابة والانشاء ، النثر والشعر) ـ وهنا بيت القصيد ـ فالاهم ، اذ المهم ، ان يكون الابداع خليقا بهذه الفروع التي تنشىء الحياة ، توقظ فينا الريادة ، وتجعلنا نعيش هدير الدفق النوراني في الشخصانية العربية .

« جذور العربية فروع الحياة » احتوى العربية كلها ، في فقهها ولغتها ، تحدث عليها علما وفنا ، بالامثلة تكلم ، وبالامثلة وجه . فنعم الكلام ونعم التوجيه .

فلسف لغتنا ، جذرا وكلمة وممارسة ، فك عنها قيد التقليد ، وحررها من تبعية الانجراف ، وجعلها ابداعا حركيا ، لا يهدأ ، ولا يرذل ماضيا ، ولا يصنمه حجرا رخاميا في متحف الاسلاف ، بل يخلق منه تراثا جديرا بان يدخل عصرنا والعصر القابل ، دون تخوف وتردد . ويرفض حاضرا بتعقل وحسن دراية وحريص ممارسة ، ليأمن وثبة المستقبل في زخم الحياة الذاهبة صعدا في سلسلة النتاج المبدع ، دون فرض نظريات متفلسفة ، بل بفعل تفاعل مع اللغة الحياة ، في وحدة ايمانية بالمصير الكبير للانسان العربي الذي يطوف في مسيرته الحضارية.

في فلسفة العربية تحدث الدكتوران : فيكتور الكك واسعد علي، في ابواب الكتاب الاربعة :

١ ـ معنى الكتابة في اللغة .
٢ ـ معنى الكتابة في الاصطلاح .
٣ ـ المرتأى الجديد ـ كرة الابداع ـ .
٤ ـ طريق الكاتب المنتظر .

فحددا هوية اصالة العربية ، ودفعاها اكثر في مجالات الحياة ، افقيا وعموديا ، حملاها طاقتها في الكينونة والصيرورة ، فانسناها . عماد الكتاب ، ثقافة رائدة ، وبحث امين ، فاذا هما دم عربي

اصيل ، وواسع الاطلاع ، يدفع الى شرايين العربية الاصيلة ، برحلة علمية ادبية بين دفتي كتاب ، فكان طريق تحرر وتحرير ، بالمعنى العميق الواعي المسؤول ، لان الغلبة ستكون غدا بمقاييس الفكر البشري .

هذا الكتاب ، وقد اصبح بين الايدي ، « وضع خطة لاحياء اللغة ، والنهوض بها من جمودها المقعد (٤) » هو رحلة محاولة .

وعندي ، انه سيكمل رحلته عبر النفس العربية على صعيدنا الاقليمي ، وعبر التجربة الانسانية على الصعيد العالمي ، لانه كتب بوعي ، وبعد تجربة ، فقام بجناحين هما على المستوى الطموح .

---

١ ـ جذور العربية فروع الحياة . ص : ٦٩ .
٢ ـ جذور العربية فروع الحياة . ص : ٨٣ .
٣ ـ كرة الابداع : تعبير للدكتورين الكك وعلي .
٤ ـ جذور العربية فروع الحياة : تصدير ص : ١٢ .

منيف موسى

•

مصرع غرناطة

مسرحية شعرية ـ عدنان مردم بك ـ ١٢٣ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ سنة ١٩٧٣

هذه هي المسرحية الشعرية الخامسة التي صدرت للشاعر عدنان مردم بك خلال خمس السنوات الاخيرة ، وهي حافلة بالمواقف المحزنة المثيرة ، وبالدروس والعبر المفيدة ، لو كنا نحسن الافادة من الدروس والعبر .

لقد استرعت انتباهي فيها مهارة الشاعر في ادارة الحوار بين أشخاص المسرحية ، ولا غرابة في ذلك ، فالشاعر مطبوع ، وخبير بالنظم المسرحي ، ومتفرغ له ، ومسيطر عليه ، بحيث يأتيه طائعا . وعندما نقرأه يخيل الينا اننا ازاء جدول رقراق ، تنساب مياهه في هدوء ويسر ، موقعة ذلك الخرير الاخاذ الذي تتسرب انغامه في النفوس تسرب الحياة في عروق النبات ، وابتسامة الفجر في محيا الليل البهيم، وسهم اليقين في كبد الشك ، وسنان العدل في قلب الظلم .

ومما يؤيد رأيي في ذلك النظم الرقيق ، قوله بلسان نعيم ، احد قادة الجيش الغرناطي :

هل كان من عجب اذا ... حن العشير الى العشير
ما ذنب (زينب) والفتا ... ة هي الفتاة على الدهور
ان النساء عنادل ... يهتفن باللحن المثير
أكبادهن خميلة ... بالنور تنفح والعبير
وبصدرهن من الحنا ... ن جداول حفلت بنور

كنت أتمنى لو نظم لنا الشاعر مسرحية عن صلاح الدين الايوبي ، وكيفية طرده غزاة الغرب ومستعمريه ، الذين جاءوا متنكرين بثياب الدين ، وفي صدورهم قلوب الذئاب ، وفي أفواههم أنياب الافاعي ، واجتاحوا بلادنا ، وهزموا جيوشنا ، التي عادت فكرت عليهم ، عندما توحدت مصر والشام تحت راية واحدة . ومسرحية عن خالد بن الوليد الذي هزم بعبقريته الحربية الروم والفرس في عقر ديارهم ، وثالثة عن أبي بكر الذي لم الشمل بعد ان تفرق ، ورأب الصدع ، وضمد جراح النفوس ، وأعاد الامة العربية العظيمة الى مجدها الخالد وعزها التالد ، ومسرحية رابعة عن عمر بن الخطاب العملاق ، الذي علمنا كيف يكون الزعيم العادل النزيه المخلص لامته ، وكيف يسهر لتنام ، ويشقى لتسعد ، ويجوع لتشبع ، ويفتقر لتغنى .

فنحن اليوم في حاجة الى شعاع من الامل يضيء لنا طريق اليأس، والى قشة من الفال نحملها في نفوسنا ، قبل ان يقصم ظهورنا حمل التشاؤم الثقيل الذي ران على القلوب والنفوس والمهج والارواح ، والذي تلبدت غيومه السود في سماء العالم العربي ، حتى حجبت عنه نور التفاؤل ، وشعاع الايمان بالعرب والعروبة .

وليت الشاعر ينظم لنا مسرحية عن فلسطين الثائرة الفدائية ، لا فلسطين الذبيح ، وعن فتح غرناطة لا عن مصرعها، لان حرب التيئيس النفسية ، وبث الروح الانهزامية في الشعوب ، هي اليوم أشد وطأ من حرب الصواريخ والقذائف والطوربيدات والالغام .

ومع ذلك كله ، انظر الى مأساة الاندلس من ناحية متفائلة ، لاننا دخلناها معتدين على أرض ليست لنا ، فأخرجنا الحق والعدل منها مهزومين ، بعد ان أقمنا فيها مئات السنين ، كما سيخرج اليهود من فلسطين مندحرين ، بعد زمن قريب او بعيد ، لانهم اغتصبوها من اهلها بالدم والنار ، لا بالحق والعدل . وارى ان اغتصاب اليهود فلسطين ، عندما كانت الشعوب العربية متفرقة متنابذة ، سيجمع كلمتهم ، ويوحد قواهم ، ويجمع جيوشهم الجرارة تحت راية واحدة، كما جمع اغتصاب العرب الاندلس كلمة الاسبان المتفرقين المتنابذين تحت راية واحدة ، وجعلهم يضربوننا ضربة قاصمة كان فيها القضاء النهائي العادل علينا في بلادهم ، كما سنقضي على اسرائيل في ضربتنا الاخيرة المظفرة ، التي لا مهرب لها منها ، قضاء مبرما ، لا رجوع لليهود بعده الى فلسطين العربية ، ولا بقاء لموطيء قدم واحدة لاي منهم في البلاد العربية كافة ، بعد ان تكون مساوئهم ، ولا اخلاقيتهم ، وقرصنتهم ، وفجورهم ، ونازيتهم قد انكشفت لجميع شعوب العالم ، وان غدا لناظره قريب .

وفي مسرحية « مصرع غرناطة » أبيات تذوب رقة ، حين قال الشاعر بلسان زينب لحبيبها ، محللا عاطفة الحب في المرأة :

اني لآنف أن يقا ... سمني بحبك آخر
تأبى الغرائز أن تعف ... من النساء سرائر

نعطي مع الحب الجليل كما تدفق زاخر
ونروم حبا كالمحيط يتيه فيه الناظر

وفي المسرحية مواقف فيها دراسات نفسية موفقة ، كالحوار بين أبي عبد الله وأمه عائشة الحر ، بعد انتصار القوط عليه .

وقد أعجبني الشاعر عدنان مردم بك عندما قال بلسان يوسف كماشة أحد وزراء الملك :

جيراننا ، وهم الاقا رب ليس فيهم من غنى
كانوا علينا في تخا ذلهم أعق من العدى
أهواؤهم شتى ، وهم في البغي أهدى من قطا
واذا هتفت بجمعهم لعظيمة يوم الوغى
لم تلق فيهم حين تد عوهم لمكرمة فتى
جيراننا شيع واحزاب تقاسمها الهوى
وبكل ركن راية وخليفة كالببغا
أشياعه أعداؤه وهو المقيم على الاذى
فالعرب في شتى التخو م دمى يسيرها الهوى

وقد ذكرتني هذه الابيات بهجوم الاسرائيليين الاخير على شمال لبنان ، واسقاطهم الطائرة المدنية الليبية ، دون ان يحرك واحد من الجيوش العربية ساكنا . وامعتصماه !

وفي المسرحية اخطاء مطبعية كثيرة ، ربما كان سببها طبع المسرحية في بيروت ، بينما يقيم الشاعر في دمشق ، ولا تساعده الظروف على تجنب تلك الاخطاء .

وفيها بعض الكلمات الصعبة ، مثل : (الذحول) ، و (هيم)، و (يجنب) بدلا من (يبعد) ، و (تأشب) بدلا من (تحصن) . بينما نحن ندعو الى اهمال تلك الكلمات في الدواوين الشعرية ، التي لا تقرأها الا مئات قليلة من المثقفين ، الذين يحبون الشعر ، ويهتمون بقراءته ، بله المسرحيات ، التي يفترض أن يقرأها آلاف القراء ، لا بضع مئات منهم .

وهنالك قواف تتكرر في المقطع الواحد ، وبين الواحدة والثانية اقل من سبعة أبيات ، وهو مما لا يسمح به العروضيون ، ويأباه الذوق الادبي السليم ، وينكره النقاد الذين يرون ان الشاعر الفحل ، يجب ان يحاسب حسابا عسيرا على كل هفوة تصدر منه ، كالمثال الخالد ، الذي لا تفتقر له أقل رعشة في يده ، وهو يلمس تمثاله المرمري لمساته الاخيرة بازميله .

أما ملاحظاتي اللغوية على الشاعر ، فقد قال :

نفذت منها المؤونة ، بدلا من : (نفدت) . ورضخ للامر الواقع، بدلا من (اذعن) . ولم يسمع له بذكر ، بدلا من : (لم يسمع له ذكر) . وقال :

ما وجد زينب الا الانواء والاعصار

فالانواء جمع ، والاعصار مفرد ، ولا يستحسن هنا عطف مفرد على جمع .

وجمع الزهر على (أزاهر) ، والصواب : أزهار ، أو أزاهير .

وقال : كما استبيح لنا ديار ، والصواب : كما استبيحت لنا ديار . ولو شاء المحافظة على الوزن ، لقال : لما استبيح لنا ذمار . وهو ما ينبغي حياطته ، والذود عنه كالاهل والعرض .

وقال : نحن الملوم ، والصواب : نحن الملومون ، او المليمون (بفتح الميم) ، أو الملامون .

وقال :

ماذا تقص علي وال أنباء تعصف بالاسى

والصواب : تحفل بالاسى ، لان (عصف بالاسى) معناه : أباده، وهو عكس المعنى المراد . وقد تكرر الفعل (عصف بالشيء) في المسرحية حاملا خطأ معنى : حفل به أو عج به ، وهذا غير المقصود .

وقال :

وأتيت بعد الصد تو عظ هاتفا وتشرع

والصواب : تعظ ، لان في العربية (وعظ) ، وليس فيها (أوعظ) .

وقال : نحن الذي نصر الدخيل . والصواب : نحن الذين نصروا الدخيل .

وقال :

وأرى غروب حضارة شعثت قروننا كالضياء

والصواب : (أشعت) ، لان (شع) معناه : تفرق وانتشر ، او عجل .

وقال : فلسطين الذبيحة ، والصواب : فلسطين الذبيح ، لان (فعيل) هنا بمعنى المفعول ، ويستوي فيها المذكر والمؤنث .

هذه المآخذ البسيطة القليلة سببها الاسراع في الانتاج ، ولو نظم الشاعر مسرحية كل سنتين ، بدلا من مسرحية كل سنة ، وجعل السنة الثانية كلها للتنقيح والتبسيط واستشارة المعاجم ، لجاءنا بالعجب العجاب ، وسجل اسمه في سجل الشعراء الخالدين .

وللشاعر المطبوع الاستاذ عدنان مردم بك تحياتي واعجابي وشكري .

محمد العدناني

•

حكاية مجانين

تأليف عبد السلام العجيلي — ١٣٧ صفحة — منشورات : دار العودة ببيروت

مجموعة أقاصيص للأديب الطبيب « عبد السلام العجيلي »

في هذه المجموعة ست أقاصيص تتفاوت في جودتها ودرجة اتقانها وطرائق عرضها الفنية . وسأحاول استعراض هذه الاقاصيص لا بموجب الترتيب الذي عرضها به الكاتب ولكن بالنسبة لدرجة تأثيرها في نفسي .

١ — في اقصوصة « الورم » صديقان أحدهما محام شاب والآخر طبيب في العقد السادس من عمره ، ولكن لا يبدو عليه اثر التقدم في السن حتى ليشك من يراه فيما اذا كان قد تجاوز الثلاثين أم لم يتجاوزها . وفي زيارة يقوم بها المحامي للطبيب يلمح عليه ظواهر غريبة : لقد توهم الطبيب أنه مريض وان مرضه من الخطورة بحيث لا يسمح له ان يعيش طويلا ، وهو ليس حزينا اذا ادركه الموت ، لانه لا يخاف من الموت كما يخاف مرضاه . وقرب أجله المزعوم جعله يعدل عن رأيه في رفض خطيب ابنته الذي تحبه لانه اقتنع ان الحب فوق العقل في قضايا الزواج .

والحقيقة التي ندركها هي ان هذا الطبيب كان فريسة لليأس والتشاؤم ، فهو يحب ولكنه يائس لان هذا الحب لم يعد ممكنا في نظره لانسان في مثل سنه ، وهذا ما دعاه الى التشاؤم . ولكن المحامي الشاب استطاع ان يعيد الثقة في نفس الطبيب حين اقنعه بامكانية حبه واقترح عليه ان يعرض نفسه على أحد زملائه لان رأي الطبيب في نفسه لا يعطي نتائج سليمة .. وبعودة الثقة الى نفس الطبيب وبعرضه نفسه على زميل له زال كل شيء وتبدد الوهم فاذا به صحيح معافى مملوء بالثقة والامل .

هذه الاقصوصة أجود أقاصيص المجموعة ، في نظري من حيث الحبكة الفنية ، فعلى الرغم من بساطة الحادثة التي تروى يظل القاريء حابسا أنفاسه منذ بدأ الطبيب يشخص مرضه لزميله الى ان يتصل به هذا الزميل هاتفيا فاذا كل شيء قد انتهى واذا الطبيب

مرح متفائل كما كان في الماضي . كذلك فان الاقصوصة تبدو رائعة من حيث وضوح المغزى وعمقه ، فالانسان لا يستطيع ان يعيش بدون أمل. وفيما تظهر آثار المهنة عند العجيلي ، ذلك يبدو في تحديده لاسباب تورم الساق على لسان الطبيب .

٢ ـ ويلي هذه الاقصوصة من حيث الاهمية اقصوصة «المجانين» التي تعرض صورة ضيقة من صور مجتمعنا تلخص فيها حياة ركاب سيارة خمسة يجتازون الطريق بين الرقة وحلب . وبالاعتماد على تيار الوعي تارة والسرد المباشر تارة اخرى نعرف حاضر هؤلاء الاشخاص وشيئا من ماضيهم حين تكون له صلة بالحاضر ، وهؤلاء الخمسة عينة من الشعب فيهم التاجر والقاضي والفلاح ، وزوجة التاجر وسائق السيارة .

هؤلاء الاشخاص شاهدوا من نافذة السيارة امرأة مجنونة ، غدا منظرها مألوفا لدى المسافرين وهي تتنقل من قريتها الى قرية ثانية مشيا على الاقدام ، تكرر ذلك كل يوم . ويأخذ أحد الركاب بسرد اسباب جنون هذه المرأة كما رويت امامه ، فيحتدم النقاش حول هذه الاسباب ولا يكاد يصدقها البعض . ونحن حين نفكر في الاسلوب الذي يعيش به ركاب السيارة ، كما يرويه العجيلي ، نجد شبها كبيرا بين تصرفهم اليومي وتصرف هذه المجنونة فهم اذا جماعة من المجانين يعيشون بين الناس دون ان يفطن أحد الى جنونهم وكيف يحس الناس بجنون هؤلاء وهم ليسوا أقل جنونا منهم كما يرى العجيلي ، فشعبنا في نظره شعب احمق مجنون ولكنه ينقسم الى قسمين : أحدهما يعيش داخل المستشفى المخصص للامراض العقلية وأما الآخر فيتنقل بحرية وطلاقة قد فتحت له أبواب الحياة على مصاريعها .

فالاقصوصة اذا نقد لاذع لسلوكنا في الحياة هذا السلوك الملتوي المليء بالشرور والآثام والذي نحاول اخفاءه بستار مموه تفرضه علينا العادات والتقاليد الاجتماعية . وكأن الاخلاق في واد ونحن في واد آخر . مثل هذه النظرة الرومنسية الى الواقع تطبع اسلوب العجيلي بطابع السلبية : فهو اذا كان قد حقق لقارئه المتعة فانه لم يستطع ان يقدم له ذرة من النفع ، وما الفائدة التي يجنيها القاريء اذا آمن مع العجيلي ان مجتمعنا مطبوع بطابع الجنون ، ولم ير في هذا المجتمع جانبا ايجابيا يمكن ان يعدل من حدة هذا الجنون في يوم من الايام !!؟

٣ ـ وأما الاقصوصة الثالثة فهي « أيامي في جزيرة مشاور » .

هذه الاقصوصة شيقة ممتعة وقد حاول ان يعرضها علينا بطريق الترجمة الذاتية مازجا طريقة الرسائل بطريقة المذكرات وكان ذلك على شكل محاضرة القيت في دمشق .

يلتقي الراوي وهو يدرس الطب خارج البلاد بشاب عربي من جزيرة شاور يدرس الطب أيضا ، وهو ابن حاكم الجزيرة ، هذه الجزيرة الفقيرة التي لا يتجاوز عدد سكانها خمسة آلاف ، والتي تقع على طرف الخليج . ويشاء الله ان يتدفق النفط في الجزيرة وان يؤول حكمها الى صديق الراوي ، الشاب ذي القلب الطيب والذي يسعى من كل قلبه أن يرقى بمستوى جزيرته صحيا وثقافيا . وبعد مضي تسع سنوات على حكم الجزيرة من قبل هذا الشاب ويسمى يحيى بن حديد ، يستدعي زميله وصديقه القديم لزيارة الجزيرة ليطلعه على مظاهر التقدم . ولكن الزميل يسخر من كل تلك المظاهر وينبه زميله الى الاخطار التي تحدق به من قبل أولئك المهاجرين الاجانب ، من ايرانيين وهنود . لقد اصبح عدد سكان الجزيرة ـ ٢٠ ـ ألفا لا لان سكانها نمو ولكن لان تدفق الهجرة قد قذف الى الجزيرة بالوف من الفقراء الاجانب ، شكل بعضهم اليد العاملة في الجزيرة والبعض الآخر لم يزل متسولا يفتش عن العمل ، أما أبناء الجزيرة فقد استسلموا الى الدعة والخمول وترفعوا عن ممارسة العمل لان ثروة البترول قد اغنتهم ، وربما لم يكن وضع هؤلاء الاجانب من الخطورة بمكان لولا رئيس الوزراء مستشار الامير وأخوه . رئيس الوزراء هذا يتظاهر بحب أخيه ولكنه يعمل في الخفاء على مساعدة العناصر الاجنبية انتقاما من اخيه الذي خصه والده بالسلطة والثروة من دونه وما ذاك الا لان أمه ايرانية .

في هذه الاقصوصة لوحة رمزية ترسم لنا نموذجا لالاعيب الاستعمار ، والاعمال التي يقوم بها من وراء الستار ، فرئيس وزراء الجزيرة عميل من عملاء الاستعمار يخدع أخاه بقشور الديمقراطية والتقدم ويرأس الحزب « التقلطي » أي التقدمي ، ولو فتشنا عن معنى التقدم عمليا لدى هذا الحزب لم نجد سوى السلب والنهب والتسلط . وحاكم الجزيرة يرأس الحزب « التقحزي » أي المحافظ . ولو فتشنا عن معنى التقحزي عمليا لوجدنا هذا المعنى قريبا من التقدم! وكأن العجيلي يريد ان يقول لنا : هكذا كل الاحزاب في بلادنا مفاهيم مقلوبة ومعان معكوسة .

ومع انتهاء ايام الراوي في الجزيرة يلقى القبض على صاحبه حاكم الجزيرة ، وعليه معه . تم ذلك بانقلاب عسكري قام به رئيس الوزراء رئيس الحزب التقلطي .. انتصرت التقدمية على الرجعية في الظاهر اما في الباطن فقد استولى الاستعمار واعوانه على مقدرات البلاد وخيراتها وتحكم الغرباء بأعناق اصحاب البلاد الشرعيين .

٤ ـ والقصة الرابعة هي : « الجدب والطوفان » وتطالعنا فيها لمحات خاطفة من تلك السنة الجدباء التي مرت بالشعب السوري في اواخر الستينات ، كما يلفت انتباهنا مقدار شذاجة الفلاح السوري، وحبه الكبير لحيواناته ، هذا الحب الذي وجدنا ما يشبهه في اقصوصة « حنين » لمحمود تيمور ، ولكن الغاية عند تيمور كانت مختلفة . وكأني بالعجيلي يريد ان يقول لنا : ان الحياة لا تبدو شيئا مستساغا اذا لم تحفل بمعاني الحب ، أي حب كان ، والمحب شقي ويحلو له الشقاء

في سبيل من يحب ، فالفلاح عبد الله يريد ان تنقذه « الهيلوكبتر » مع حيواناته ولا يقبل ان يفارقها أبدا بل يفضل الموت معها على الحياة بدونها . والفلاح الآخر لا يجد في الارض ما يطعم نعاجه ويشاهدها امامه تموت موتا بطيئا فيمزقه الالم ويدفعه حبه الشديد لها الى ان يطلب من صاحب « التراكتور » الارمني ان يمر فوقها لتخلص من العذاب بهذا الموت السريع . اما ذلك القروي الذي اضطره القحط الى هجران ارضه والابتعاد عن سماء الريف الصافية ، والذي قادته الظروف الى العمل في محلجة القطن ذات الجو الخانق فانه يتحمل الشقاء من أجل مشاهدة زينب العاملة معه في المحلجة .

٥ ـ أما الاقصوصتان الاخيرتان فتبدوان لي اقل اهمية من الاقاصيص الاربع السابقة شكلا ومضمونا ، لان العجيلي يترك فيهما البساطة والوضوح ليقدم الينا اساليب فنية متنوعة . وكأني به معلم يقول لتلامذته : « في اقصوصة « الحاجان » تجدون الترجمة الذاتية في المقطعين الاولين والسرد المباشر في المقطع الاخير . اما في اقصوصة « الفيفا » فتجدون اسلوب المذكرات مع شيء من السرد المباشر . وقصة الحاجان من قصص الشخصيات لان شخصية البطلين هي الطاغية بينما يمكن ان نسمي قصة « الفيفا » من قصص الحوادث لان الحوادث هي الطاغية » .

هاتان الاقصوصتان ، في نظري ، جسم بلا روح لانهما اذا كانتا تحتويان على مقومات القصة الفنية فانهما لا تملكان القدرة على جذب القارىء وتشويقه . ومن غريب المصادفة ان الكاتب في اقصوصتيه هاتين اختار مسرح الحوادث بعيدا عن ارض الوطن ، أفيكون هذا سبب الضعف ! لان العجيلي تتجلى مهارته ، اكثر ما تتجلى في رسم البيئة ، فاذا تجاوز بيئة شرقي سوريا الى غيرها من البيئات انكمشت نفسه وضعف بيانه لضعف مدخراته الحسية وقلة تجاربه في تلك الاماكن ؟!

واستطيع ان اختم كلامي بان « حكاية مجانين » مجموعة قصص تعليمية قبل كل شيء لتنوع اساليب العرض وتعدد المرامي وبساطة الاسلوب ، فقد استطاع الكاتب ان يمزج الطريقة التمثيلية بالطريقة التحليلية مزجا ماهرا وان يرسم شخصياته بدقة . وكان في اكثر هذه الاقاصيص خفيف الظل بارع النكتة الا في اقصوصتيه « الحاجان » و « الفيفا » كما اشرت الى ذلك فقد تجلى لي العجيلي وكأنه يكتب بعقله لا بقلبه وهذا ما جعل الاقصوصتين تستسلمان بسهولة حين نريد التشريح ولكنهما تحجمان وتعرضان حين نسأل انفسنا : ما المتعة التي تحققت لنا وما المغزى الذي حصلنا عليه .

دمشق — **سكينة الشهابي**

•

اغنيات على شواطىء الحب

ديوان للشاعر فؤاد طمان ـ ٦٤ صفحة ـ الناشر : مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة

صدر في القاهرة اخيرا الديوان الاول للشاعر فؤاد طمان ، وكنت قد سمعت عددا كبيرا من قصائد هذا الشاعر الشاب في منتديات الادب بمدينة الاسكندرية ، وبهرني شعره الصادق الرصين . لقد عرفته شاعرا وطنيا يحترق من اجل وطنه ، واذا بديوانه الاول يتكون من قصائد حب عذبة رقيقة . لقد ادهشتني المفاجأة وكأنني لم أكن أتصور ان شاعرا يكتب شعرا لوطنه بكل حماس وثورة يمكن ان يقدم للقارىء ديوانا كاملا من قصائد الحب .

ان اهم ما يلفت النظر هو ان شاعرنا يبهرك وانت تقرأ قصيدة الحب او قصيدة الثورة بصدق مشاعره واحساسه المرهف . وصدقه الفني هو ما يضفي على قصائده ذلك الدفء الذي يشدنا اليها وينقلنا الى العوالم التي حلق هو فيها .

ولقد فوجئت ايضا بأن قصائد الديوان كلها قصائد عمودية وليس فيها قطعة واحدة من الشعر الحديث ، في حين انني عرفت فؤاد طمان شاعرا حديثا ولم اسمع قبل ذلك انه كتب الشعر العمودي . ومما زادني اعجابا به انني وجدته في الشكلين شاعرا مبدعا .

لنقرأ معا هذه الابيات الحزينة الدافئة من قصيدته « الضوء الغارب » :

في يدك اليسرى خاتمه ... يطفىء في عيني الاضواء
لكن لهيب الشوق الجامح ... يعبر من خلل الرمضاء
والدمعة في عينيك دليلي ... في تلك المدن السوداء
حبي وصبايا الضائع أنت ... فكيف تفرقنا الاهواء

ويظل الشاعر يصوغ بدموعه تجربة حب ضائع في روعة وصدق حتى ينهي قصيدته بهذه الابيات :

تبكين وأبكي .. من منا ... خذلته الايام العمياء
الشط الدامع منتظر ... ونشيج الامواج الزرقاء
وأنا أتملى الضوء الغارب ... أشرد في صفحات الماء

وفي قصيدة أخرى يرفض فيها الحب قائلا لصديقته :

ما الذي يغريك كي تمضي الى ... عالمي المضطرب المرتعد
سقط الصيف صريعا عندما ... جاءني بالحب يوم الموعد
وجد الثلج على كرمي .. على ... أبحري الزرق.. وطيري.. ويدى
صحونا ريح ورعد ومنى ... نيلها فوق احتمال الابد

ان هذه القصائد هي أول مجموعة تصدر للشاعر وهي على جمالها لا تقدم لنا فكرة كاملة عن شعر فؤاد طمان لانه شاء ان يقصرها على الغناء والحب .

وانا مضطر لان آخذ عليه ذلك ، فاعظم أعماله هي تلك التي عرضت لحضارة العصر ولقضايا الوطن . لقد كان الافضل في رأيي ان يقدم لنا نماذج من تلك الالوان مجتمعة .

ومع هذا فان الديوان الصغير الانيق الدافىء « اغنيات على شواطىء الحب » هو وثيقة ميلاد لشاعر كبير من شعراء الحب والفناء.

الاسكندرية — **حسين صادق محمود**